

تَعْلِيمُ الْمُتَعَلِّمِ

طَرِيقُ الْمُتَعَلِّمِ

تأليف

الإمام برهان الإسلام الزرنوخي رحمه الله

اعتنى بشرحه وضبط الفاظه
عبد العزيز صقر شاهين

طبعة جديرة رسمية ملونة

مَكْتَبَةُ الْبَشِيرِ

كراتشي - باستان



تَعْلِيمُ الْمُتَعَلِّمِ

طَرِيقُ التَّعْلِيمِ

تألِيف

الإمام برهان الإسلام الزرنوجي رحمة الله

اعتنى بشرحه وضبط ألفاظه
عبد العزيز صقر شاهين

طبعه مهيره رسمية مدرسة



اسم الكتاب	: تَعْلِيمُ التَّعْلِيمِ طَرِيقُ التَّعْلِيمِ
تأليف	: الإمام برهان الإسلام الزرنوفي رضي الله عنه
عدد الصفحات	: 64
السعر	: = 22 روبيه
الطبعة الأولى	: ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ء
اسم الناشر	: مكتبة البشرى

جمعية شودهري محمد علي العبرية. (مسجلة Z-3، اوورسيز بنكلوز جلستان جوهر، کراتشي، باکستان.

الهاتف	: +92-21-7740738
الفاكس	: +92-21-4023113
البريد الإلكتروني	: al-bushra@cyber.net.pk
الموقع على الإنترنت	: www.ibnabbasaisha.edu.pk

يطلب من : مكتبة البشري، کراچی - 92-321-2196170
 مكتبة الحرمين، اردو بازار، لاہور - 92-321-4399313
 المصباح، ۱۲ اردو بازار لاہور - 042-7124656 - 7223210
 بك لینڈ، شی پلازا کالج روڈ، راوی پنڈی - 051-5773341 - 5557926
 دارالإخلاص، نردنگہ خواں بازار پشاور - 091-2567539
 مكتبة رشیدية، سرکی روڈ، کوئٹہ - 0333-7825484
 وأيضاً يوجد عند جميع المكتبات المشهورة

مقدمة

الحمد لله العليم الذي خلقنا وعلمنا ولم يتركنا سدى، وأنعم علينا بنعمة الوجود ثم بنعمة الإيمان والمعرفة والهدى، وأكرمنا بالرسول المعلم محمد المصطفى ﷺ، وأعزنا بصحابته الطيبين العارفين، أهل السداد والرشاد والفدى رضوان الله عليهم، وعلى من تعهم بإحسان، أما بعد:

إن قضية التربية والتعليم في البلاد الإسلامية من كبرى القضايا ومن عظام المهمات، فهي مسألة قائمة بذاتها؛ لأن أمة الإسلام أمة خاصة في طبيتها ومنهجها وأهدافها، أمة ذات مبدأً وعقيدة، ورسالة ودعوة وجهاد، يجب أن تكون التربية والتعليم خاضعين لمبادئ الأمة وعقيدتها ورسالتها ودعوتها، وكل تربية أو تعليم لا تحمل ذلك ولا تتضمنه فهي حياة للأمة، وغدر بالذمة.

التربيـة في الإسلام لم تـرك للاجـهـادات الإنسـانية الـبحثـة، ولا لـمن تستـهـويـهم المـبـادـىـء المـسـتـورـدة، وتأـسـرـهـم الأـفـكـارـ الـوـافـدـةـ لـتـأخذـ هـمـ ذاتـ الـيـمـينـ تـارـيـخـةـ، وـذـاتـ الشـمـالـ تـارـيـخـةـ.

الـترـبيـةـ بـقـيـسـ أـهـدافـ الـأـمـةـ الـتـيـ تـعـيـشـ مـنـ أـجـلـهـاـ، وـتـمـوتـ فـيـ سـيـلـهـاـ، تـجـسـدـ الـعـقـيـدـةـ الـمـسـتـقـرـةـ فـيـ قـلـوـهـاـ، وـالـلـغـةـ الـتـيـ تـسـعـ هـاـ حـضـارـهـاـ، وـالـمـلـأـ الـأـعـلـىـ الـذـيـ تـنـطـلـعـ إـلـيـهـ، وـالـتـارـيـخـ الـذـيـ تـغـارـ عـلـيـهـ.

أـمـةـ الـإـسـلـامـ بـحـاجـةـ إـلـىـ نـظـامـ تـرـبـيـوـيـ وـسـيـاسـةـ تـعـلـيمـيـةـ تـنـاسـبـ طـبـيـعـهـاـ، وـتـسـيرـ مـعـ مـثـلـهـاـ الـعـلـيـاـ فـيـ عـقـيـدـهـاـ، وـشـرـيعـهـاـ وـرـوحـهـاـ الـجـهـادـيـةـ؛ لـتـعـودـ هـاـ عـزـمـهـاـ، وـتـسـرـدـ أـجـادـهـاـ.

تربيـةـ نـقـومـ عـلـيـهـاـ حـيـاةـ الـمـسـلـمـ مـنـ أـوـطـاـهـاـ إـلـىـ آخرـهـاـ، وـتـشـمـلـ الـجـمـعـ بـكـلـ طـقـاتـهـ، وـتـعـيـشـ مـعـهـ فـيـ كـلـ ظـرـوفـهـ وـأـحـوـالـهـ. تـرـبـيـةـ إـسـلـامـيـةـ مـنـهـجـيـةـ، تـنـظـمـ كـلـ سـنـوـاتـ الـعـمـرـ وـمـراـحلـ الـدـرـاسـةـ، مـنـ رـيـاضـ الـأـطـفـالـ حـتـىـ أـعـلـىـ الـدـرـاسـاتـ الـعـلـيـاـ، تـرـبـيـةـ وـظـفـةـ صـنـاعـةـ الـرـجـالـ، وـصـيـاغـةـ الـعـقـولـ، وـصـيـانـةـ السـلـوكـ، وـتـحـقـيقـ أـهـدافـ كـلـ الـعـلـمـ؛ لـيـكـونـ الـإـنـسـانـ قـادـرـاـ عـلـىـ حـسـنـ الـمـسـيـرـةـ فـيـ هـذـهـ الـحـيـاةـ وـفـقـ أـهـدافـ الـنـبـيـةـ وـغـايـاتـهـ السـامـيـةـ. تـرـبـيـةـ هـيـ تـعـهـدـ الـمـسـلـمـ بـالـإـصـلاحـ فـيـ عـقـيـدـهـ وـعـبـادـتـهـ وـخـلـقـهـ. تـرـبـيـةـ هـيـ السـعـيـ إـلـىـ إـصـلاحـ الـحـيـاةـ فـيـ كـلـ جـوـانـبـهـاـ مـنـ أـحـلـ بـلوـغـ السـعـادـةـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ.

وـأـنـ هـذـاـ الكـتـابـ الـذـيـ بـيـنـ يـدـيـكـ تـعـلـيمـ الـمـلـعـمـ طـرـيقـ الـتـعـلـمـ يـحـتـويـ عـلـىـ آـدـابـ الـتـعـلـيمـ وـالـتـعـلـمـ وـطـرـيقـهـمـ، وـإـنـ هـذـاـ الكـتـابـ أـحـاطـ فـيـ مـهـدـهـ جـلـ مـسـائـلـ الـآـدـابـ الـدـرـاسـيـةـ، وـجـمـعـ فـيـهـ طـرـقـ الـإـفـادـةـ وـالـاسـتـفـادـةـ، وـتـحـصـيلـ ثـرـاـحـهـاـ فـيـ ضـوءـ رـعـيـةـ آـدـابـ الـتـعـلـيمـ وـالـتـعـلـمـ، فـلـابـدـ لـدـارـسـ الـعـلـمـ أـنـ يـعـتـنـيـ بـآـدـابـ الـتـعـلـيمـ وـالـتـعـلـمـ؛ وـلـأـهـمـيـةـ هـذـاـ الكـتـابـ تـعـلـيمـ الـتـعـلـمـ طـرـيقـ الـتـعـلـمـ اـحـتـاجـ الـأـمـرـ إـلـىـ إـخـرـاجـهـ فـيـ ثـوـبـهـ الـجـدـيدـ فـيـ طـبـاعـةـ حـدـيثـةـ، بـحـيثـ يـسـتـفـيدـ مـنـ الـطـلـابـ حـقـ الـاسـتـفـادـةـ، فـقـامـتـ بـعـونـ اللـهـ وـتـوـفـيقـهـ - مـكـتبـةـ الـبـشـرـىـ بـأـداءـ هـذـهـ الـمـهـمـةـ.

نـرجـوـ مـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ كـامـلـ الرـجـاءـ أـنـ يـتـقـبـلـ هـذـاـ الجـهـدـ الـمـتوـاضـعـ بـفـضـلـهـ الـعـامـةـ، وـيـجـعـلـهـ فـيـ مـيزـانـ حـسـنـاتـهـ، وـيـسـتـرـ زـلـاتـنـاـ بـرـحـمـتـهـ الـخـاصـةـ، إـنـ سـيـعـ بـحـيـبـ.

منهج عملنا في هذا الكتاب

ولأهمية هذا الكتاب قمنا بإحداث طبعه في أسلوب أنيق وطراز جديد؛ ليكون أشمل نفعاً، فاتبعنا الميزات التالية:

- بذلنا جهودنا في تصحيح العبارة من الأخطاء اللغوية والمعنوية التي توارثت قدماً في الطبعات الهندية والباكستانية مع رعاية قواعد الإملاء والترقيم.
- وضعنا عناوين المباحث في رأس الصفحات؛ تسهيلاً للدرس.
- شكلنا ما يتبع أو يشكل من الكلمات الصعبة.
- جلّينا سائر عناوين المباحث باللون الأحمر؛ تبيّنها على أهميتها.
- أشرنا إلى التعليقات التي في حاشية الكتاب بـ "أسود غامق" في المتن.
- راجعنا في تصحيح هذا الكتاب إلى جميع النسخ المطبوعة.

نرجو من الله سبحانه وتعالى كامل الرجاء أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بفضله العام، ويجعله في ميزان حسناتنا، ويستر زلاتنا، برحمته الخاصة إنه سميع مجيب.

مكتبة البشرى

كراتشي، باكستان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَ بَنِي آدَمَ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَعَلَى أَلِهِ وَأَصْحَابِهِ يَنَائِيْعِ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ.

وَبَعْدُ: فَلَمَّا رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِنَا يَحْدُّونَ إِلَى الْعِلْمِ وَلَا يَصِلُّونَ، وَمِنْ مَنَافِعِهِ وَتَمَرِّاتِهِ يُحْرَمُونَ؛ لِمَا أَنَّهُمْ أَخْطُوا وَأَرَكُوا شَرَائِطَهُ، وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ طَرِيقَ ضَلَّ، فَلَا يَنَالُ الْمَقْصُودَ، قَلَّ أَوْ حَلَّ، أَرَدْتُ وَأَحَبَّتُ أَنْ أُبَيِّنَ لَهُمْ طَرِيقَ التَّعْلِيمِ، عَلَى مَا رَأَيْتُ فِي الْكُتُبِ وَسَمِعْتُ مِنْ أَسَاتِذَتِي أُولَئِكُمُ الْعِلْمُ وَالْحِكْمَ؛ رَجَاءَ الدُّعَاءِ لِي مِنَ الرَّاغِبِينَ فِيهِ الْمُخْلِصِينَ، بِالْفَوْزِ وَالْخَلاصِ فِي يَوْمِ الدِّينِ، بَعْدَ مَا اسْتَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ، وَسَمِيَّتُهُ:

"تَعْلِيمُ الْمُتَعَلِّمِ طَرِيقُ التَّعْلِيمِ" وَجَعَلْتُهُ فَصْوَلًا:

- ١ فصل: في ماهية العلم والفقه وفضله.
- ٢ فصل: في النية في حال التعلم.
- ٣ فصل: في اختيار العلم وأستاذه والشريك والثبات.
- ٤ فصل: في تعظيم العلم وأهله.
- ٥ فصل: في الحد والمواطنة والهمة.
- ٦ فصل: في بداية السبق وتراثه وقدره.
- ٧ فصل: في التوكل.
- ٨ فصل: في وقت التخصيص.
- ٩ فصل: في الشفقة والنصيحة.

- ١٠ - فصل: في الاستفادة.
- ١١ - فصل: في الورع حال التعلم.
- ١٢ - فصل: فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان.
- ١٣ - فصل: فيما يجلب الرزق وما يمنعه، وما يزيد في العمر وما ينقصه.
وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

فصل في ماهية العلم والفقه وفضله

قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ اعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ طَلَبُ كُلِّ عِلْمٍ، وَإِنَّمَا يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ طَلَبُ عِلْمِ الْحَالِ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: أَفْضَلُ الْعِلْمِ عِلْمُ الْحَالِ، وَأَفْضَلُ الْعَمَلِ حِفْظُ الْحَالِ، وَيُفْتَرَضُ عَلَى الْمُسْلِمِ طَلَبُ مَا يَقَعُ لَهُ فِي حَالِهِ، فِي أَيِّ حَالٍ كَانَ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الصَّلَاةِ، فَيُفْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ مَا يَقَعُ لَهُ فِي صَلَاةِ يَقْدِرُ مَا يُؤْدِي بِهِ فَرَضَ الصَّلَاةِ، وَيَجِدُ عَلَيْهِ يَقْدِرُ مَا يُؤْدِي بِهِ الْوَاجِبَ؛ لِأَنَّ مَا يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْفَرْضِ يَكُونُ فَرْضًا، وَمَا يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْوَاجِبِ يَكُونُ وَاجِبًا، وَكَذَلِكَ فِي الصَّوْمِ وَالرَّكَأَةِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَالْحَجَّ إِنْ وَجَبَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ فِي الْبَيْوَعِ إِنْ كَانَ يَتَّجِرُ.

قيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَا تُصْنِفُ كِتَابًا فِي الزَّهْدِ؟ قَالَ: صَنَّفْتُ كِتَابًا

علم الحال: يزيد به الأحوال والشؤون التي لا بد أن ت تعرض للإنسان في حياته، كالإيمان ومعرفة أحكام العبادات، والمعاملات الضرورية، وطرق السعي إلى الرزق، والعمل لاكتساب ما يحفظ الرمق، فالأجل أن يكون مؤمناً، يجب أن يتعلم ما يصل به إلى الإيمان من علم أصول الدين، والأجل أن يعرف ما فرضه الله عليه من واجبات، يجب أن ينظر في علم الفقه؛ ليعرف حدود ذلك، والأجل أن يتعرف سبل السعي إلى الرزق والحصول على المعاش، يجب أن يتعلم من علوم الحياة ما يستطيع تعلمه.

فالغرض الذي يرمي إليه الدين الإسلامي، هو الوصول بالإنسان إلى السعادة في الدنيا والآخرة، قال الله عزوجل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِذْ كُرُوا اللَّهُ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠)، وجاء فيما رواه البهقي من الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا، وتعلموا من العربية ما تعرّبون به كتاب الله ثم انتهوا وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا.

محمد بن الحسن: يصله بأبي حنيفة رحمه الله صلة قرابة، وهو من تلاميذ أبي يوسف رحمه الله.

في الْبُيُوعِ، يَعْنِي الرَّاهِدُ هُوَ مَنْ يَتَحَرَّزُ عَنِ الشَّبَهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ فِي الشَّجَارَاتِ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمُعَامَلَاتِ وَالْحِرَفِ، وَكُلُّ مَنِ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِنْهَا يُفْتَرِضُ عَلَيْهِ عِلْمُ التَّحْرِزِ عَنِ الْحَرَامِ فِيهِ، وَكَذَلِكَ يُفْتَرِضُ عَلَيْهِ عِلْمُ أَحْوَالِ الْقَلْبِ، مِنَ التَّوْكِيلِ وَالْإِنَابَةِ وَالْخَشْيَةِ وَالرِّضَا؛ فَإِنَّهُ وَاقِعٌ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

وَشَرْفُ الْعِلْمِ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ؛ إِذْ هُوَ الْمُخْتَصُ بِالْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْخَصَالِ سِوَى الْعِلْمِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْإِنْسَانُ وَسَائِرُ الْحَيَّانَاتِ، كَالشَّجَاعَةِ وَالْحُرَّاءِ وَالْقُوَّةِ وَالْحُجُودِ وَالشَّفَقَةِ وَغَيْرِهَا سِوَى الْعِلْمِ، وَبِهِ أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَ أَدَمَ عَلَيْهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَأَمْرَهُمْ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَإِنَّمَا شَرْفُ الْعِلْمِ لِكُونِهِ وَسِيَّلَةً إِلَى التَّقْوَى الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَرْءُ الْكَرَامَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَالسَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ، كَمَا قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ:

تَعْلَمُ فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ وَفَضْلٌ وَعُنْوانٌ لِكُلِّ الْمَحَامِدِ
وَكُنْ مُسْتَفِيدًا كُلَّ يَوْمٍ زِيَادَةً مِنَ الْعِلْمِ وَاسْبَحْ فِي بُحُورِ الْفَوَائِدِ
نَفَقَهَ فَإِنَّ الْفِقْهَ أَفْضَلُ فَائِدٍ إِلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَى وَأَعْدَلُ قَاصِدٍ

بالسجود له: حيث قال عز وجل: ﴿وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبُوْني بِاسْمَاءِ هُؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٣١)، وأمرهم بالسجود له في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرِيزُ أَتَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (القمر: ٣٤)، والسجود معناه الخضوع. الخامد: جمع محمد - بفتح الميمين - مصدر ميمي بمعنى المحمودة، يعني أن العلم دليل على أن صاحبه ذو فضل عظيم وأخلاق كريمة وحصول محمودة. بحور الفوائد: أي في الفوائد التي كالبحور كثرة وعظمها، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زُدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١٤). قاصد: عادل.

هُوَ الْعِلْمُ الْهَادِيُّ إِلَى سَنَنِ الْهُدَى
 فَإِنَّ فَقِيهَا وَاحِدًا مُتَوَرِّعًا أَشَدُ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ
 وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَخْلَاقِ، نَحْوُ الْجُودِ وَالْبَخْلِ وَالْجُنُونِ، وَالْجُرْأَةِ وَالتَّكَبُّرِ
 وَالْتَّوَاضُعِ، وَالْعُفَّةِ وَالْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ وَغَيْرِهَا؛ فَإِنَّ الْكِبِيرَ وَالْبَخْلَ وَالْجُنُونَ
 وَالْإِسْرَافُ حَرَامٌ، وَلَا يُمْكِنُ التَّحرِزُ عَنْهَا إِلَّا بِعِلْمِهَا وَعِلْمِ مَا يُضَادُهَا، فَيَفْتَرَضُ
 عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ عِلْمَهَا، وَقَدْ صَنَفَ السَّيِّدُ الْإِمَامُ الْأَجَلُ الشَّهِيدُ نَاصِرُ الدِّينِ
 أَبُو الْقَاسِمِ كِتَابًا فِي الْأَخْلَاقِ، وَنَعْمَ مَا صَنَفَ، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حِفْظُهَا.
 وَأَمَّا حِفْظُ مَا يَقُعُ فِي الْأَحَادِينِ، فَفَرِضَ عَلَى سَبِيلِ الْكِفَايَةِ، إِذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ فِي
 الْبَلْدَةِ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِيَنِ، فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَلْدَةِ مَنْ يَقُومُ بِهِ اشْتَرَكُوا جَمِيعًا فِي
 الْمَأْثِمِ، فَيَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِذَلِكَ، وَيُحِبِّرَ أَهْلَ الْبَلْدَةِ عَلَيْهِ.
 وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ عِلْمَ مَا يَقُعُ عَلَى نَفْسِهِ فِي جَمِيعِ الْأَحَوَالِ هُوَ بِمِنْزَلَةِ الطَّعَامِ لَا بُدَّ لِكُلِّ

سنن: السنن - بفتح السين - : الطريق. من ألف عابد: ليس المراد بالألف تحديد العدد بل بيان الكثرة، وإنما كان الفقيه المتورع الواحد أشد على الشيطان من كثير من العابدين غير الفقهاء؛ لأن الفقيه على بينة من الحلال والحرام، فلا يستطيع الشيطان أن يضلله، أما العابد غير الفقيه، فهو يعبد الله على غير بصيرة، فمن المبين على الشيطان أن يورطه في الضلال دون أن يشعر، ومن السهل أن يوقعه في حبائل متشابكة من الشبه والشكوك.

المأثم: الإثم والمعصية، وإنما اعتبر الجميع مشتركين في الإثم والمعصية، بترك ما يحتاج إليه الفرد في بعض الأحيان؛ لأنه مصلحة عامة، فإذا انقطعت حاجة الفرد إليها في بعض الأحيان، فنهاجة المجموع إليها دائمة لا تقطع. لا بد لكل إلح: يتلخص معنى هذه العبارة في أن من العلوم ما هو ضروري للمرء، لا يستطيع أن يؤدي واجباته الدينية والدينوية إلا به، كما لا يستطيع أن يعيش بدون طعام يقيم به أو وده ويسد رمقه، فتعلم مثل هذه العلوم واجب شرعا =

وَاحِدٌ مِنْهُ، وَعِلْمٌ مَا يَقْعُدُ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيْرِ بِمَنْزِلَةِ الدَّوَاءِ، يُحْتَاجُ إِلَيْهِ حِينَ الْمَرَضِ فَقَطْ، وَعِلْمُ النُّجُومِ بِمَنْزِلَةِ الْمَرَضِ، فَتَعْلَمُهُ حَرَامٌ؛ لِأَنَّهُ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَالْهَرَبُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرِهِ غَيْرُ مُمْكِنٍ، فَيَنْبُغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَشْتَغِلَ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَقَرْأَةِ الْقُرْآنِ وَالصَّدَقَاتِ الدَّافِعَةِ لِلْبَلَاءِ، وَيَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِيَصُونَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْبَلَاءِ وَالْآفَاتِ؛ فَإِنَّ مَنْ رُزِقَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرِمِ الإِحْجَابَ، فَإِنْ كَانَ الْبَلَاءُ مُقَدَّرًا يُصْبِهُ لَا مَحَالَةً، لَكِنْ يُسَيِّرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَرْزُقُهُ الصَّبَرَ بِرَكَةِ الدُّعَاءِ.

اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا تَعْلَمَ مِنَ النُّجُومِ قَدْرًا مَا يَعْرِفُ بِهِ الْفِتْلَةُ وَأَوْقَاتُ الصَّلَاةِ، فَيَجُوزُ ذَلِكَ،

= على كل فرد بعينه، ومنها ما قد يحتاج إليه في بعض الأحيان، كما يحتاج الإنسان إلى الدواء حين المرض، فتعلم مثل هذه العلوم لا يجب على كل فرد بعينه، ولكن يجب أن يكون في كل جماعة عدد من العارفين بها يكفي لسد حاجة هذه الجماعة إليها، فمتلا لا يجب على كل فرد أن يكون طبيباً، ولكن يجب أن يكون في كل جماعة عدد من الأطباء يكفي لعلاج من يمرض منهم.

علم النجوم: يظهر أن المؤلف لا يقصد بعلم النجوم علم الفلك، بدليل قوله: "واهرب من قضاء الله غير ممكِن؛ فإن علم الفلك لا يبحث في وسائل الهرب من قضاء الله، وإنما هو علم يبحث في عالم الكواكب والأفلاك، ونظام سيرها وقواعد الجاذبية بينها، وأوقات شروقها وغروبها وغير ذلك، مما يحتاج إليه أشد الاحتياج في كثير من الشؤون الدينية والدنيوية، ومن يطلع على أبحاث الفلكيين الدقيقة، لا يسعه إلا أن يخرب ساجداً خالقاً هذا العالم الذي يهرب العقول ويدهش الآباب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠)، وقال عليه السلام: تعلموا من أسابحكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا، وتعلموا من العربية ما تعربون به كتاب الله ثم انتهوا، وتعلموا من النجوم ما تكتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا.

وَأَمَّا تَعْلُمُ عِلْمَ الطَّبِّ فَيَحْجُرُهُ، لِأَنَّهُ سَبَبَ مِنَ الْأَسْبَابِ، فَيَحْجُرُ تَعْلُمَهُ كَسَائِرِ الْأَسْبَابِ، وَقَدْ تَدَاوَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ حُكِيَّ عَنِ الشَّافِعِيَّ حَتَّى أَنَّهُ قَالَ: الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمُ الْفِقْهِ لِلْأَدِيَانِ، وَعِلْمُ الطَّبِّ لِلْأَبْدَانِ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ بِلُغَةِ مَجْلِسٍ.

وَأَمَّا تَفْسِيرُ الْعِلْمِ: فَهُوَ صِفَةٌ يَتَحَلَّ بِهَا لِمَنْ قَامَتْ هِيَ بِهِ الْمَذْكُورُ كَمَا هُوَ.

وَالْفِقْهُ: مَعْرِفَةٌ دَقَائِقُ الْعِلْمِ مَعَ نَوْعٍ عِلَاجٍ. قَالَ أَبُو حَيْنَةَ حَتَّى أَنَّهُ: الْفِقْهُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا، وَقَالَ: مَا الْعِلْمُ إِلَّا الْعَمَلُ بِهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ تَرْكُ الْعَاجِلِ لِلْآجِلِ، فَيَسْتَغْفِرُ لِلنَّاسِ أَنْ لَا يَعْفُلَ عَنْ نَفْسِهِ وَمَا يَنْفَعُهَا وَمَا يَضُرُّهَا فِي أُولَاهَا وَآخِرَاهَا، فَيَسْتَحْلِبُ مَا يَنْفَعُهَا وَيَجْتَبِ مَا يَضُرُّهَا؛ كَيْلًا يَكُونُ عَقْلُهُ وَعِلْمُهُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ، فَيَزِدُ دَادَ عُقُوبَةً، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُخْطِهِ وَعِقَابِهِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ آيَاتٌ وَأَخْبَارٌ صَحِيحَةٌ مَشْهُورَةٌ، لَمْ نَشْتَغِلْ بِذِكْرِهَا؛ كَيْلًا يَطُولُ الْكِتَابَ.

بلغة مجلس: كفاية مجلس، أي يكفي للتتحدث به في المجلس، ولو صح أن الإمام الشافعي حَتَّى أَنَّهُ قال هذا، فليس يقصد منه أن غير هذين العلمين لا فائدة منه سوى التحدث به في المجالس، وإنما يقصد أنه يجب وجوباً عيناً على كل فرد أن يعرف من الفقه ما يستقيم به دينه، وتصح عبادته، ومن علم الطب ما يحفظ به صحته، وينقي أسباب الأمراض، وهو ما يسمى "علم تدبير الصحة" وما عدا هذين العلمين فهو واجب وجوباً كفائياً.

المذكور أعلاه: أي ما يتعلق به العلم. كما هو: أي على حقيقته. نوع: هذا تعريف للفقه بالمعنى اللغوي العام الذي يشمل كل العلوم. يطول الكتاب: قال الله تعالى: ﴿فُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَبْيَابُ﴾ (الرَّمَضَانُ: ٩)، وقال عزوجل: ﴿هُوَ رَفِيعُ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (الْمُحَادَّةُ: ١١)، وقال عزوجل: ﴿هُوَ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مِنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَبْيَابُ﴾ (الْبَقْرَةُ: ٢٦٩)، =

فصل في النية حال التعلم

ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ النِّيَةِ فِي زَمَانِ تَعْلُمِ الْعِلْمِ؛ إِذَا النِّيَةُ هِيَ الْأَصْلُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ، حَدِيثٌ صَحِيفٌ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ بِصُورَةِ أَعْمَالِ الدُّنْيَا، وَيَصِيرُ بِحُسْنِ النِّيَةِ مِنْ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ بِصُورَةِ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ يَصِيرُ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا بِسُوءِ النِّيَةِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَنْبُوِيَ الْمُتَعَلِّمُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ رِضَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَإِرَادَةُ الْجَهْلِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ سَائِرِ الْجَهَالِ، وَإِحْيَا الدِّينِ وَإِبْقاءِ الإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ بَقَاءَ الإِسْلَامِ بِالْعِلْمِ، وَلَا يَصِحُّ الرُّهُدُ وَالتَّقْوَى مَعَ الْجَهْلِ، أَنْشَدَنِي الْأَسْتَاذُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجْلَ شِرْبَانُ الدِّينِ صَاحِبُ "الْهِدَايَةِ" لِيَعْضُّهُمْ:

فَسَادٌ كَبِيرٌ عَالِمٌ مُتَهَّلٌ وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ
هُمَا فِتْنَةٌ فِي الْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ لِمَنْ يَهْمَأْ فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ
وَيَنْبُوِي بِهِ الشُّكْرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعُقْلِ وَصِحَّةِ الْبَدَنِ، وَلَا يَنْبُوِي بِهِ إِقْبَالِ النَّاسِ إِلَيْهِ،
وَلَا اسْتِحْلَابِ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَالْكَرَامَةُ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ
الْحَسَنِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: لَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَيْنِي لَأَعْتَقْتُهُمْ وَتَبَرَّأْتُ عَنْ وَلَاهِمْ،
وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ وَجَدَ لَذَّةَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ قَلَّمَا يُرْغَبُ فِيهَا عِنْدَ النَّاسِ.
أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجْلَ الْأَسْتَاذُ قَوَامُ الدِّينِ حَمَادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ
الصَّفَارُ الْأَنْصَارِيُّ إِمْلَاءً لِأَبِي حَنِيفَةَ رَحْمَةُ اللَّهِ شِعْرًا:

= وحاء في "البخاري" أن النبي ﷺ قال: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، خير الدنيا والآخرة مع العلم، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل.

مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْمَعَادِ فَأَرَى بِفَضْلِهِ مِنَ الرَّشَادِ
 فِيَا لِحُسْنَارِانِ طَالِبِيهِ لِنَيْلِ فَضْلِهِ مِنَ الْعِبَادِ
 اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا طَلَبَ الْجَاهَ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهَيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنْفِيذِ الْحَقِّ
 وَإِعْزَازِ الدِّينِ، لَا لِنَفْسِهِ وَهَوَاهُ، فَيَجْهُوزُ ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يُقْيمُ بِهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ
 وَالنَّهَيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَبْتَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ
 بِجُهْدٍ كَثِيرٍ، فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَى الدُّنْيَا الْحَقِيرَةِ الْقَلِيلَةِ الْفَانِيَةِ.

هِيَ الدُّنْيَا أَقْلَى مِنَ الْقَلِيلِ وَعَاسِقُهَا أَذَلُّ مِنَ الدَّلِيلِ
 تُصْسِمُ بِسُخْرِهَا قَوْمًا وَتُعْمِي فَهُمْ مُتَحَبِّرُونَ بِلَا دَلِيلٍ
 وَيَبْتَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَلَا يُذَلِّ نَفْسَهُ بِالظَّمَعِ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ، وَيَتَحَرَّزُ عَمَّا فِيهِ مَذَلَّةُ
 الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَيَكُونُ مُتَوَاضِعًا، وَالْتَّوَاضُعُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْمَذَلَّةِ وَالْعِفَّةِ، وَيُعْرَفُ
 ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ، أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُ الْأَسْتَاذُ رُكْنُ الْإِسْلَامِ
 الْمَعْرُوفُ بِالْأَدِيبِ الْمُخْتَارِ حَلَّهُ شَعْرًا لِنَفْسِهِ:

إِنَّ التَّوَاضُعَ مِنْ خَصَالِ الْمُتَّقِيِّ وَبِهِ التَّقْيَى إِلَى الْمَعَالِي يَرْتَقِي
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ عُجْبٌ مَنْ هُوَ
 فِي حَالِهِ أَهُوَ السَّعِيدُ أَمِ الشَّقِيقِ
 أَمْ كَيْفَ يُخْتَمُ عُمْرُهُ أَوْ رُوْحُهُ
 يَوْمَ النَّوْى مُتَسَفِّلٌ أَوْ مُرْتَقِي
 وَالْكِبْرِيَاءُ لِرَبِّنَا صِفَةٌ بِهِ مَخْصُوصَةٌ فَتَجَنَّبُهَا وَاتَّقِي
 قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ حَلَّهُ لِأَصْحَابِهِ: عَظَمُوا عَمَائِمَكُمْ، وَوَسَعُوا أَكْمَامَكُمْ.....

عظموا عمامكم إلخ: المقصود من هذا أنه يتعين للمتعلم أن يظهر بالظاهر الذي يكتسبه الإحلال والاحترام؛ تعظيمًا للعلم وإكبارًا لشأنه.

وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ؛ لِئَلَّا يَسْتَخِفَ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَيَنْسُغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى كِتَابِ الْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبَهَا أَبُو حَيْفَةَ رَحْمَةُ اللَّهِ لِيُونُسَ بْنِ خَالِدِ السَّمْتِي رَحْمَةُ اللَّهِ عِنْدَ الرُّجُوْعِ إِلَى أَهْلِهِ، يَجِدُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ، وَقَدْ كَانَ أُسْتَادُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الْأَئْمَةِ عَلَيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَدَّسَ اللَّهُ رُوْحَهُ الْعَزِيزُ أَمْرَنِي بِكِتابَتِهِ عِنْدَ الرُّجُوْعِ إِلَى بَلَدِي وَكَتَبْتُهُ، وَلَا بُدَّ لِلْمُدَرِّسِ وَالْمُفْتَتِي فِي مُعَامَلَاتِ النَّاسِ مِنْهُ.

فصل في اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات

يَبْغِي طَالِبُ الْعِلْمِ أَن يَخْتَارَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ دِينِهِ فِي الْحَالِ، ثُمَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْمَالِ، فَيُقَدِّمُ عِلْمَ التَّوْحِيدِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَيَعْرِفُ اللَّهَ تَعَالَى بِالدَّلِيلِ؛ فَإِنَّ إِيمَانَ الْمُقْلِدِ وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا عِنْدَنَا، لَكِنْ يَكُونُ آثِمًا بِتَرْكِ الْأَسْتِدْلَالِ، وَيَخْتَارُ الْعَتِيقَ دُونَ الْمُحَدَّثَاتِ، قَالُوا: عَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ، وَإِيَّاَكُمْ وَالْمُحَدَّثَاتِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِهَذَا الْجَدَلِ الَّذِي ظَهَرَ بَعْدَ اِنْقِرَاضِ الْأَكَابِرِ مِنَ الْعَلَمَاءِ؛ فَإِنَّهُ يُعَذِّبُ الطَّالِبَ عَنِ الْفِقْهِ وَيُضِيِّعُ الْعُمُرَ، وَيُورِثُ الْوَحْشَةَ وَالْعَدَاوَةَ، وَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَارْتِفَاعِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، كَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ.

أحسن: أحسن كل علم ما كان من جوهره وصرحه، وخلص من المناقشات والخلافات،
قال الشاعر:

ما حوى العلم جميـعاً أحد لا ولو مارسه ألف سنه
إنما العلم بعد غوره فخذـوا من كل علم أحسـنه
ترك الاستدلال: أي معرفة الدليل، وأفضل الأدلة في ذلك ما كان فطرياً بسيطاً، كذلك
الدليل الناصح الذي قاله الأعرابي في لمحـة قوية صريحة: البرءة تدل على البعير، والأثر يدل
على المسير، فأرض ذات فجاج، وبماء ذات أبراج، أفلـا تدل على العلي القديـر؟.

العتيق: يريد بالعتيق ما تم الاتفاق عليه بعد أن قام البرهان القاطع على صحته، ويريد
بالحديث ما يزال الخلاف فيه محتدماً، ولم تتفـك أدلة الآراء المتصادمة فيه، ينقض بعضها
بعضاً، وذلك لأنـه لا يـبغـي للمتعلم أن يـعتقد شيئاً قبل أن يـقوم البرهـان على صـحتـه.
أشراطـ: جـمع شـرـطـ - بـفتحـ الشـيـنـ وـالـرـاءـ - العـلامـةـ، أي عـلامـاتـ يومـ الـقيـمةـ.

وردـ فيـ الحـدـيـثـ: يـشيرـ إـلـىـ ما روـاهـ الـدـيـلـيـمـيـ عنـ ابنـ مـسـعـودـ رـضـيـهـ أـنـ النـبـيـ ﷺـ قـالـ: تـعـلـمـواـ عـلـمـ قـبـلـ أـنـ يـرـفـعـ؛ فـإـنـ أـحـدـكـمـ لـاـ يـدـرـيـ مـنـ يـفـقـرـ إـلـىـ مـاـ عـنـدـهـ، وـعـلـيـكـمـ بـالـعـلـمـ، وـإـيـاـكـمـ
وـالـنـتـنـطـعـ وـالـتـبـدـعـ وـالـتـعـمـقـ، وـعـلـيـكـمـ بـالـعـتـيقـ.

وَأَمَّا اخْتِيَارُ الْأُسْنَادِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْأَعْلَمَ وَالْأَوْرَعَ وَالْأَسَنَّ، كَمَا اخْتَارَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَمَادَ بْنَ سُلَيْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ التَّأْمِلِ وَالتَّفَكُّرِ، وَقَالَ: وَجَدْتُهُ شَيْخًا وَقُورًا حَلِيمًا صَبُورًا، وَقَالَ: تَبَثُّ عِنْدَ حَمَادَ بْنِ سُلَيْمَانَ فَنَمِيتُ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ حَكِيمًا مِنْ حُكَمَاءِ سَمْرَقَنْدٍ يَقُولُ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ شَاؤِرَنِي فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى الدَّهَابِ إِلَى بُخَارَى لِطَلَبِ الْعِلْمِ - وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُشَاعِرَ فِي كُلِّ أَمْرٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُشَاوِرَةِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَفْطَنَ مِنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ أَمْرٌ بِالْمُشَاوِرَةِ، وَكَانَ يُشَاعِرُ أَصْحَابَهُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ حَتَّى حَوَائِجَ الْبَيْتِ.

قَالَ عَلَيٌّ كَرَمَ اللَّهُ وَجْهُهُ: مَا هَلَكَ أَمْرُؤٌ عَنْ مَشُورَةٍ، وَقِيلَ: النَّاسُ رَجُلٌ وَنِصْفٌ رَجُلٌ وَلَا شَيْءٌ، فَالرَّجُلُ: مَنْ لَهُ رَأْيٌ صَائِبٌ وَيُشَاعِرُ. وَنِصْفُ الرَّجُلِ: مَنْ لَهُ رَأْيٌ صَائِبٌ وَلَكِنْ لَا يُشَاعِرُ، أَوْ يُشَاعِرُ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لَهُ. وَلَا شَيْءٌ: مَنْ لَا رَأْيَ لَهُ وَلَا يُشَاعِرُ.

قَالَ جَعْفُرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسْفَيَانَ الثُّوْرَيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شَاؤِرٌ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى، وَطَلَبُ الْعِلْمِ مِنْ أَعْلَى الْأُمُورِ وَأَصْبِعَهَا، فَكَانَتِ الْمُشَاوِرَةُ فِيهِ أَهْمَّ وَأَوْجَبَ - قَالَ الْحَكِيمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى بُخَارَى فَلَا تَعْجَلْ فِي الْاِخْتِلَافِ إِلَى الْأَئْمَةِ، وَامْكُثْ شَهْرَيْنِ، حَتَّى تَتَأْمَلَ وَتَخْتَارَ أُسْنَادًا؛ فَإِنَّكَ إِذَا ذَهَبْتَ . . .

فكانت المشورة إلخ: ما بين الشرطتين ليس من كلام الحكيم، بل من كلام المؤلف، ساقه هنا لبيان أهمية المشورة. الاختلاف إلى الأئمة هو التردد على مجالسهم لأخذ العلم عنهم.

إلى عالمٍ وبِدأَتْ بالسُّبْقِ عِنْدَهُ رُبَّمَا لَا يُعْجِبُكَ دَرْسُهُ، فَتَتَرَكُهُ وَتَذَهَّبُ إِلَى آخرَ، فَلَا يُبَارِكُ لَكَ فِي التَّعْلُمِ، فَتَأْمَلُ شَهْرَيْنِ فِي اخْتِيَارِ الْأُسْتَادِ، وَشَاؤْ حَتَّى لَا تَحْتَاجَ إِلَى تَرْكِهِ وَالْأَعْرَاضِ عَنْهُ، فَشَبَّتْ عِنْدَهُ حَتَّى يَكُونَ تَعْلُمُكَ مُبَارِكًا، وَتَنْقُعَ بِعِلْمِكَ كَثِيرًا، وَاعْلَمَ أَنَّ الصَّبَرَ وَالثَّابَاتَ أَصْلُ كَثِيرٍ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَلَكِنَّهُ عَزِيزٌ، كَمَا قِيلَ:

لِكُلِّ إِلَى شَأْوِ الْعُلَاءِ حَرَكَاتُ وَلَكِنْ عَرِيزٌ فِي الرِّجَالِ ثَباتُ
قِيلَ: الشَّجَاعَةُ صَبُّ سَاعَةٍ، فَيُبَغِّضُ طَالِبُ الْعِلْمِ أَنْ يَبْتَسَ وَيَصِيرَ عَلَى أُسْتَادِ،
وَعَلَى كِتَابٍ حَتَّى لَا يَتْرُكَهُ أَبْتَرَ، وَعَلَى فَنٍ حَتَّى لَا يَشْتَغِلَ بِفَنٍ آخَرَ قَبْلَ أَنْ يُتَقْرِّ
الْأَوَّلَ، وَعَلَى بَلَدٍ حَتَّى لَا يَتَنَقَّلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ
يُفَرِّقُ الْأُمُورَ وَيَشْغُلُ الْقَلْبَ، وَيُضِيقُ الْأَوْقَاتَ وَيُؤْذِي الْمُعَلَّمَ، وَيُبَغِّضُ أَنْ يَصِيرَ
عَمَّا تُرِيدُهُ نَفْسُهُ وَهَوَاهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْهَوَى لَهُوَ الْهَوَانُ بِعِينِهِ وَصَرِيعُ كُلِّ هَوَى صَرِيعُ هَوَانِ
وَيَصِيرُ عَلَى الْمِحَنِ وَالْبَلَائِتِ، فَقَدْ قِيلَ: خَرَائِنُ الْمِنَنِ عَلَى قَنَاطِرِ الْمِحَنِ.
وَأَنْشَدْتُ، وَقِيلَ: إِنَّهُ لِعَلِيٍّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَلَيْهِ:

أَلَا لَا تَنَالُ الْعِلْمَ إِلَّا بِسَتَّةِ سَأَنِيْكَ عَنْ مَحْمُوعِهَا بِبَيَانِ
ذَكَاءٍ وَحِرْصٍ وَاصْطِبَارٍ وَبُلْغَةٍ وَإِرْشَادٍ أُسْتَادٍ وَطُولُ زَمَانٍ

وبِدأت بالسُّبْقِ عِنْدَهُ: أي بِدأَتْ بِأخذِ الْعِلْمِ عَنْهُ قَبْلَ التَّأْمِلِ، وَحُسْنِ الْاخْتِيَارِ. أَبْتَرَ: ناقصٌ.
بُلْغَةٌ: الْبُلْغَةُ: مَا يَتَبَلَّغُ بِهِ مِنْ الْعِيشِ.

وَأَمَّا اخْتِيَارُ الشَّرِيكِ، فَيَبْغِي أَنْ يَخْتَارَ الْمُجِدَّ وَالْوَرَعَ وَصَاحِبَ الطَّبِيعَ
الْمُسْتَقِيمِ، وَيَفْرَغُ مِنَ الْكَسْلَانِ وَالْمُعَطَّلِ، وَالْمِكْثَارِ وَالْمُفْسِدِ وَالْفَتَانِ.
قَالَ الشَّاعِرُ:

عَنِ الْمَرءِ لَا تَسْأَلْ وَابْصِرْ قَرِينَهُ
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمَقَارِنِ يَقْتَدِي
وَإِنْ كَانَ ذَا حَيْرٍ فَقَارِنُهُ سُرْعَةً
فَإِنْ كَانَ ذَا شَرٌ فَحَانِثُهُ تَهْتَدِي
وَأَنْشَدْتُ:

لَا تَصْحِبِ الْكَسْلَانَ فِي حَالَاتِهِ
كَمْ صَالِحٍ بِفَسَادِ آخِرٍ يَفْسُدُ
عَدُوِي الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةً
كَالْجَمَرِ يُوَضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيَحْمَدُ
وَقَالَ ﷺ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، إِلَّا أَنَّ أَبَوَيْهِ يُهَوِّدَاهُ أَوْ يُنَصِّرَاهُ
أَوْ يُمَجِّسَاهُ، الْحَدِيثُ، وَيَقَالُ فِي الْحِكْمَةِ بِالْفَارِسِيَّةِ:

يارِ بد بدتر بود از مارِ بد	حق ذات پاك الله الصمد
يارِ بد آرد ترا سوئ جحيم	يارِ نيكو گير تا يابي نعيم

المختار: كثير الكلام. الفتان: هو من يثير الفتن والمنازعات بين الناس.
عن المرء لا تسأل إلخ: الذي أعرفه من روایة هذا الشعر هو قوله:
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فردى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
ومن هذا المعنى ما رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: اختبروا الناس
بما حوا لهم؛ فإن الرجل يخادن من يعجبه نحوه أي منهجه وطريقته.
يارِ بد إلخ: جاء في شرح الشيخ إبراهيم بن إسماعيل لهذا الكتاب بياناً لمعنى هذا الشعر
الفارسي: يعني أن الصاحب السوء أسوأ من الحياة السوداء، وأكثر منها ضررا.

وَقِيلَ :

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبٍ
فَاعْتَبِرِ الْأَرْضَ وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِأَسْمَائِهَا

فاعتبر الأرض بأسمائها: يمكن أن يقال إن المراد بـ"أسماها" الأسماء التي تطلق عليها، فكلمة "ضيعة" تدل على أنها أرض ذات زرع وضرع، وكلمة "حديقة" تدل على أنها ذات أشجار وثمار، ويمكن أن يقال: إن المراد بـ"أسماها" أسماء ساكنيها، فإذا شاعت بينهم أسماء صخر، وحجر والقارظ ودارم، دل ذلك على أنها أرض جبلية يكثر فيها شجر القرظ والدارم، وإذا شاع فيها أسماء أسد، وثلب وكلب أو كلاب مثلاً، دل ذلك على أن هذه الحيوانات تكثر فيها.

فصل في تعظيم العلم وأهله

اعلم أنَّ طالبَ الْعِلْمِ لَا يَنَالُ الْعِلْمَ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ إِلَّا بِتَعْظِيمِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَتَعْظِيمُ الْأَسْنَادِ وَتَوْقِيرِهِ، فَقَدْ قِيلَ: مَا وَصَلَ مَنْ وَصَلَ إِلَّا بِالْحُرْمَةِ، وَمَا سَقَطَ مَنْ سَقَطَ إِلَّا بِتَرْكِ الْحُرْمَةِ، وَقِيلَ: الْحُرْمَةُ خَيْرٌ مِنَ الطَّاغِيَةِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكْفُرُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَإِنَّمَا يَكْفُرُ بِإِسْتِخْفَافِهَا، وَبِتَرْكِ الْحُرْمَةِ.

وَمِنْ تَعْظِيمِ الْعِلْمِ تَعْظِيمُ الْمُعَلِّمِ، قَالَ عَلَيْهِ كَرَمُ اللهُ وَجْهُهُ: أَنَا عَبْدُ مَنْ عَلَمَنِي حِرْفًا وَاحِدًا، إِنْ شَاءَ بَاعَ، وَإِنْ شَاءَ أَعْتَقَ، وَإِنْ شَاءَ اسْتَرَقَ، وَقَدْ أَنْشِدْتُ فِي ذَلِكَ شِعْرًا:

رَأَيْتُ أَحَقَّ الْحَقَّ حَقَّ الْمُعَلِّمِ
وَأَوْجَبَهُ حِفْظًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
لَقَدْ حَقَّ أَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ كَرَامَةً
لِتَعْلِيمِ حَرْفٍ وَاحِدٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ

فَإِنَّ مَنْ عَلَمَكَ حِرْفًا مِمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ، فَهُوَ أَبُوكَ فِي الدِّينِ، وَكَانَ أُسْتَاذُنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ سَدِيدُ الدِّينِ الشَّيْرَازِيُّ رَحْمَةُ اللهِ يَقُولُ: قَالَ مَشَايخُنَا رَحْمَةُ اللهِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ عَالِمًا، فَيَبْغِي أَنْ يُرَاعِيَ الْغُرَبَاءَ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَيُكْرِمُهُمْ وَيُطْعِمُهُمْ، وَيُعَظِّمُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ شَيْئًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَبُوهُ عَالِمًا كَانَ حَمِيدُهُ عَالِمًا.

وَمِنْ تَوْقِيرِ الْمُعَلِّمِ أَلَا يَمْشِي أَمَامَهُ، وَلَا يَجْلِسَ مَكَانَهُ، وَلَا يَتَدَدِّي بِالْكَلَامِ عَنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يُكْثِرَ الْكَلَامَ عَنْهُ، وَلَا يَسْأَلُ شَيْئًا عِنْهُ مَلَالَتِهِ، وَيُرَاعِيُ الْوَقْتَ،

بِالْحُرْمَةِ: الْحُرْمَةُ: الْمَهَابَةُ وَالتَّعْظِيمُ. مَلَالَتُهُ: الْمَلَالَةُ: الْضَّحْرُ وَالْأَسْأَمُ. وَيُرَاعِيُ الْوَقْتَ: أَيْ لَا يَفْعُلُ شَيْئًا إِلَّا فِي الْوَقْتِ الْمَنَاسِبِ لَهُ.

وَلَا يَدْعُقَ الْبَابَ، يَلْ يَصِيرَ حَتَّى يَخْرُجَ.

وَفِي الْحُمْلَةِ يَطْلُبُ رَضَاءً، وَيَجْتَنِبُ سُخْطَهُ، وَيَمْتَشِّلُ أَمْرَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يُذْهِبُ دِينَهُ لِدُنْيَا غَيْرِهِ.

وَمِنْ تَوْقِيرِهِ تَوْقِيرُ أَوْلَادِهِ وَمَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَكَانَ أَسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ صَاحِبُ "الْهِدَايَةِ" شَهَدَ يَحْكِيُ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ كِبَارِ أُئُمَّةِ بُخارَى كَانَ يَجْلِسُ مَجْلِسَ الدِّرْسِ، وَكَانَ يَقُومُ فِي خَلَالِ الدِّرْسِ أَحْيَانًا، فَسَأَلَوْهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ أَسْتَاذِي يَلْعَبُ مَعَ الصَّبَّيَانِ فِي السَّكَّةِ، وَيَجِيءُ أَحْيَانًا إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ أَقْوَمُ لَهُ؛ تَعْظِيْمًا لِأَسْتَاذِي، وَكَانَ الْقَاضِيُّ الْإِمامُ فَخْرُ الدِّينِ الْأَرْسَابِنْدِيُّ رَئِيسُ الْأُئُمَّةِ فِي "مَرْوَ" وَكَانَ السُّلْطَانُ يَحْتَرِمُهُ غَايَةَ الْإِحْتِرَامِ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا وُجِدْتُ فِي هَذَا الْمَنْصَبِ بِعِدْمَهِ الْأَسْتَاذِ؛ فَإِنَّمَا كُنْتُ أَخْدُمُ الْأَسْتَاذَ الْقَاضِيَ الْإِمامَ أَبَا يَزِيدَ الدُّبُوْسِيَّ، وَكُنْتُ أَخْدُمْهُ، وَأَطْبَخْ طَعَامَهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَا أَكُلُّ مِنْهُ شَيْئًا.

وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمامُ الْأَجْلُ شَمْسُ الْأُئُمَّةِ الْحَلْوَانِيُّ شَهَدَ قَدْ خَرَجَ مِنْ بُخارَى، وَسَكَنَ فِي بَعْضِ الْقُرَى أَيَّامًا لِحَادِثَةٍ وَقَعَتْ لَهُ، وَقَدْ زَارَهُ تَلَامِيذهُ عَيْرَ الشَّيْخِ الْإِمامِ الْقَاضِيِّ شَمْسِ الْأُئُمَّةِ الزَّرْنِجِيِّ شَهَدَ، فَقَالَ لَهُ حِينَ لَقِيَهُ: لِمَ لَمْ تَزُرْنِي؟ فَقَالَ لَهُ: كُنْتُ مَشْغُولًا بِعِدْمَهِ الْوَالِدَةِ، فَقَالَ: تُرْزَقُ الْعُمُرَ، وَلَا تُرْزَقُ رَوْنَقَ الدِّرْسِ، وَكَانَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ الْقُرَى، وَلَمْ يَتَنَظِّمْ لَهُ الدِّرْسُ، فَمَنْ تَأَذَّى مِنْهُ أَسْتَاذُهُ يُحْرَمُ بَرَكَةَ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَتَنَعَّمْ بِهِ إِلَّا قَلِيلًا.

إِنَّ الْمُعَلَّمَ وَالْطَّيِّبَ كِلَاهُمَا لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يُكْرِمَا فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَبِيهَةَ وَاقْنَعْ بِجَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعَلَّمًا وَحُكِيَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ هَارُونَ الرَّشِيدُ بَعَثَ ابْنَهُ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ؛ لِيَعْلَمَهُ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ، فَرَآهُ يَوْمًا يَتَوَضَّأُ وَيَغْسِلُ رِجْلَهُ، وَابْنُ الْخَلِيفَةَ يَصْبُرُ الْمَاءَ عَلَى رِجْلِهِ، فَعَاتَبَ الْأَصْمَعِيَّ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: إِنَّمَا بَعَثْتَهُ إِلَيْكَ لِتَعْلَمَهُ وَتَوَدَّبَهُ، فَلِمَادَا لَمْ تَأْمُرْهُ بِأَنْ يَصْبُرَ الْمَاءَ بِإِحْدَى يَدِيهِ، وَيَغْسِلَ بِالْأُخْرَى رِجْلَكَ؟

وَمِنْ تَعْظِيمِ الْمُعَلَّمِ تَعْظِيمُ الْكِتَابِ، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَا يَأْخُذَ الْكِتَابَ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ، وَحُكِيَ عَنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الْأَئِمَّةِ الْحَلَوَانِيِّ حَلَوَانِيَّ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا نَلْتُ هَذَا الْعِلْمَ بِالتَّعْظِيمِ؛ فَإِنَّمَا أَخَذْتُ الْكَاغِدَ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ، وَالشَّيْخُ الْإِمامُ شَمْسُ الْأَئِمَّةِ السَّرَّاحِيُّ سَرَّاحٌ كَانَ مَبْطُونًا، وَكَانَ يُكَرَّرُ فِي لَيْلَةٍ، فَتَوَضَّأَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُكَرَّرُ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ، وَهَذَا إِلَّا الْعِلْمُ نُورٌ، وَالْوُضُوءُ نُورٌ، فَيَزِدَّ دَادُ نُورُ الْعِلْمِ بِهِ.

وَمِنَ التَّعْظِيمِ الْوَاجِبِ أَلَا يَمْدُدَ رِجْلَهُ إِلَى الْكِتَابِ، وَيَضَعُ كُتُبَ التَّفْسِيرِ فَوقَ سَائِرِ الْكُتُبِ؛ تَعْظِيمًا، وَلَا يَضَعُ عَلَى الْكِتَابِ شَيْئًا آخَرَ، وَكَانَ أَسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ بَلَهُ يَحْكِيُّ عَنْ شَيْخٍ مِنَ الْمَشَايخِ أَنَّ فَقِيهَهَا كَانَ وَضَعَ الْمِحْبَرَةَ عَلَى الْكِتَابِ، فَقَالَ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ: "بِرْ نِيَابِيْ".....

الكاغد: - بفتح الغين-: القرطاس. مبطونا: المبطون هو من يشتكي بطنه. يكرر: يريد مذاكرة العلم. بر نيابي: في شرح الشيخ إبراهيم بن إسماعيل أن معنى هذه الكلمة: لا تجد النفع من علمك.

وكان أستاذنا القاضي الإمام الأجل فخر الإسلام المعروف بقاضي خان حمله يقول: إن لم ير ذلك الاستخفاف فلا بأس به، والأولى أن يتحرج عنده.

ومن التعظيم الواجب أن يحود كتابة الكتاب، ولا يقرّمط ويترك الحاشية إلا عند الضرورة، ورأى أبو حنيفة رحمه الله كاتبًا يقرّمط في الكتابة، فقال: لم تقرّمط خطك؟ إن عشت تندم وإن موتت تُشتم. يعني إذا سُخت وَضَعَفَ بصرُكَ ندِمت على ذلك، وحُكى عن الشيخ الإمام محمد الدين السريحي أنه قال: ما قرمطنا إلا ندمنا، وما انتخبنا إلا ندمنا، وما لم نقابل إلا ندمنا، وينبغي أن يكون تقاطيع الكتاب مربعاً؛ فإنه تقاطيع أبي حنيفة رحمه الله، وهو أيسر إلى الرفع والوضع والمطالعة، وينبغي إلا يكون في الكتاب شيء من الحمراء؛ فإنه صنف الفلاسفة لا صنف السلف، ومن مشايخنا من كره استعمال المركب الأحمر.

ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء في طلب العلم والدرس ومن يتعلم منه، والتملّق مذموم إلا في طلب العلم؛ فإنه ينبغي أن يتملّق لأستاذه وشركتائه؛ ليس تفهيد منهم.

يقرّمط: يدقق الكتابة ويصغرها. السريحي: في نسخة أخرى: الشيخ الإمام محمد محمد الدين الصرحي. وما انتخبنا إلخ: لخصنا، أي ما تركنا شيئاً إلا احتجنا إلى ما تركناه، ووددنا لو كان ما معنا مفصلاً متوسعاً فيه. وما لم نقابل: أي ما فرطنا في المراجعة ومقابلة النسخة المكتوبة حديثاً على الأخرى المصححة إلا ندمنا؛ لعثورنا على أخطاء وأغلاط في النسخة الحديثة. المركب: المداد. التملّق: التردد والتلطّف، والتملّق المذموم هو المتتكلّف المصطنع؛ استجلاباً لفائدة مادية، لأنّه حينئذ يدل على الضعف والمهانة والصغر.

وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَيْهِ، وَالْحِكْمَةُ بِالتَّعْظِيمِ وَالْحُرْمَةِ، وَإِنْ سَمِعَ الْمَسْأَلَةُ الْوَاحِدَةُ، أَوِ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ أَلْفَ مَرَّةً، قِيلَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ تَعْظِيْمُهُ بَعْدَ أَلْفِ مَرَّةٍ كَعَظِيْمِهِ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ، فَلَيْسَ بِأَهْلٍ لِلِّعْلَمِ، وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَا يَخْتَارَ نَوْعَ عِلْمٍ بِنَفْسِهِ، بَلْ يُفَوَّضُ أَمْرُهُ إِلَى الْأُسْتَادِ؛ فَإِنَّ الْأُسْتَادَ قَدْ حَصَلَ لَهُ التَّحَارُبُ فِي ذَلِكَ، فَكَانَ أَعْرَفَ بِمَا يَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ، وَمَا يَلِيقُ بِطَبِيعَتِهِ.

وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمامُ الْأَجْلَ الْأُسْتَادُ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحْمَةُ اللهِ يَقُولُ: كَانَ طَلَبُ الْعِلْمِ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ يُفَوَّضُونَ أَمْرُهُمْ فِي التَّعْلُمِ إِلَى أُسْتَادِهِمْ، فَكَانُوا يَصْلُونَ إِلَيْهِمْ مَقَاصِدِهِمْ وَمُرَادِهِمْ، وَالآنَ يَخْتَارُونَ بِنَفْسِهِمْ، فَلَا يَحْصُلُ مَقْصُودُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفِيقِ.

وَكَانَ يُحْكَى أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيَ رَحْمَةُ اللهِ كَانَ بَدَأَ بِكِتَابَةِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ رَحْمَةُ اللهِ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ رَحْمَةُ اللهِ: إِذْهَبْ وَتَعَلَّمْ عِلْمَ الْحَدِيثِ؛ لِمَا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ أَلْيَقُ بِطَبِيعَتِهِ، فَطَلَبَ عِلْمَ الْحَدِيثِ، فَصَارَ فِيهِ مُقَدَّمًا عَلَى حَمِيمِيَّةِ الْحَدِيثِ، وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَا يَجْلِسَ قَرِيبًا مِنَ الْأُسْتَادِ عِنْدَ السَّبِقِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأُسْتَادِ قَدْرُ الْقَوْسِ؛ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى التَّعْظِيمِ.

وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ الْأَخْلَاقِ الْذَّمِيْمَةِ؛ فَإِنَّهَا كِلَابٌ مَعْنُوَيَّةٌ

السبق: استماع الدرس، وكأنه أخذه من قوله تعالى في سورة النازعات: (فَالسَّابِقَاتِ سَبَقاً) (النازعات: ٤) على رأي من فسره بأن الملائكة والجن كانوا يتسابقون إلى استماع الوحي.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةَ يَبْتَأِ فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةً، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّمُ
الْإِنْسَانُ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ، وَالْأَحْلَاقُ الذِّيْمِيَّةُ تُعْرَفُ فِي كِتَابِ الْأَحْلَاقِ،
وَكِتَابُنَا هَذَا لَا يَحْتَمِلُ بَيَانَهَا، وَلَيَحْتَرِزْ خُصُوصًا عَنِ التَّكَبِّرِ، وَمَعَ التَّكَبِّرِ لَا يَحْصُلُ
الْعِلْمُ، قِيلَ:

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَىِ الْمُتَعَالِيِّ كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِيِّ
وَقِيلَ:

بِجَدِّي لَا يَجِدُ كُلَّ مَحْدٍ فَهَلْ جَدٌ بِلَا جِدٍ بِمَجْدِي
فَكُمْ عَبْدٌ يَقُومُ مَقَامَ حُرٍّ وَكُمْ حُرٌّ يَقُومُ مَقَامَ عَبْدٍ

مجدي إلخ: بكسر الجيم: أي بلغت الغلا باجتهادي ونشاطي فأنا عصامي. لا بحمد كل مجد: أي لم أصل إلى غرضي بسعى غيري واجتهاد سواي، فلست عظاميا. فهل جد: بفتح الجيم: حظ وخت، أي أن الحظ والبحث لا يفيد شيئا إذا لم يكن هناك جد واجتهاد، وفرض السعادة، والمجد تسぬح لكل الناس، أو لأكثرهم، ولكن قل منهم من يتهرها، فهي كالطائر يحلق فوق الرؤوس، فاليقظ النشيط يشب إليه ويعمه، والكسول البليد يقف أمامه حاما. فكم عبد يقوم إلخ: يعني أن الجد والعمل يرفع العبيد الأذلاء إلى مقام السادة الأجداد، والكسول والحمول يحط السادة الأشراف إلى حضيض العبيد الأذلاء.

فصل في الجد والمواظبة والهمة

لَمْ لَا بُدَّ مِنَ الْجِدَّ وَالْمُوَاظَبَةِ وَالْمُلَازَمَةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَدِيهِمْ سُبُّلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩)، وقوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مرم: ١٢)، وقد قيل: مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَ وَجَدَ، وَمَنْ قَرَعَ الْبَابَ وَلَجَ وَلَجَ، وَقِيلَ: يَقْدِرُ مَا تَتَمَنَّى تَنَالُ مَا تَتَمَنَّى، قيل: يَحْتَاجُ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّفَقُّهِ إِلَى الْجِدَّ ثَلَاثَةً: الْمُتَعَلِّمُ وَالْأُسْنَادُ وَالْأَبُّ إِنْ كَانَ فِي الْأَحْيَاءِ، أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأُسْنَادُ سَدِيدُ الدِّينِ الشَّيْرَازِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ لِلْإِمَامِ

الشَّافِعِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ

الْجِدُّ يُدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ وَالْجِدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُعْلَقٍ
 وَأَحَقُّ خَلْقَ اللَّهِ بِالْهُمَّ امْرُؤٌ ذُو هِمَّةٍ يُبَلِّي بِعَيْشٍ ضَيْقٍ
 وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ بُؤْسُ الْلَّيْلِ وَطِيبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ
 لَكِنَّ مَنْ رُزِقَ الْحِجَّى حُرْمَ الْغَنَّى ضِدَّاً يَغْتَرِقَانِ أَيَّ تَفْرُقٍ
 وَأَنْشِدَتُ لِغَيْرِهِ: وَأَنْشِدَتُ لِغَيْرِهِ:

تَمَسَّكَتْ أَنْ تُمْسِي فَقِيَّها مُنَاظِرًا يَغْيِيرُ غَنَاءَ وَالْجُنُونُ فُنُونُ

لِج: ألح وشدد، ولج: دخل. ومن الدليل إلح: حيث كان يجب أن يكون البيت هو الغنى الطيب العيش؛ لتفوقه بعقله وذكائه، فلما رأينا الأحمق الغبي هو الأكثر غنى والأطيب عيشاً عرفنا أن هناك قوة أخرى هي التي قلبت الأمر، وعكسست ما يقتضيه العقل والمنطق، وتلك القوة هي التي يسميها الشاعر حكم القضاء، أي قضاء الله وحكمه، ولكن ما أحسن قول المتنبي: ذو العقل يشقى في التعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وَلَيْسَ اكْتِسَابُ الْمَالِ دُونَ مُشَقَّةٍ
تَتَحَمَّلُهَا فَالْعِلْمُ كَيْفَ يَكُونُ
قال أبو الطيب:

وَلَمْ أَرَ فِي عَيْوَبِ النَّاسِ عَيْوَةً
كَنْفُصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّعَامِ
وَلَا بُدَّ لِطَالِبٍ مِنْ سَهْرِ اللَّيَالِي كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:
بِقَدْرِ الْكَدَّ تُكْتَسِبُ الْمَعَالِي
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهْرَ اللَّيَالِي
يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ الْلَّا لَيَ
عُلُوُّ الْكَعْبِ بِالْهَمَمِ الْعَوَالِي
وَمَنْ رَأَمَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدَّ
تَرَكْتُ النَّوْمَ رَائِي فِي اللَّيَالِي
فَوَفَقْنِي إِلَى تَحْصِيلِ عِلْمٍ
وَقَيلَ: أَتَخِدِ الْلَّيْلَ جَمَلاً تُدْرِكُ بِهِ أَمَلاً، قَالَ الْمُصَنَّفُ حَلَّهُ: وَقَدْ اتَّقَعَ لِي نَظَمٌ
فِي هَذَا الْمَعْنَى:

مَنْ شَاءَ أَنْ يَحْتَوِي آمَالَهُ جَمَلاً
فَلِيَتَخَذِّلْ لَيْلَهُ فِي دَرْكِهَا جَمَلاً
إِنْ شِئْتَ يَا صَاحِبِي أَنْ تَبْلُغَ الْكَمَلَ
أَقْلِلْ طَعَامَكَ كَيْ تَحْظَى بِهِ ثَمَراً
وَقَيلَ: مَنْ أَسْهَرَ نَفْسَهُ بِاللَّيْلِ، فَقَدْ فَرَحَ قَلْبَهُ بِالنَّهَارِ، وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ . . .

كيف يكون: أي يكون اكتساب العلم بدون مشقة مع أنه أعظم شأننا وأصعب منالا من المال. ولم أر في إلخ: أي أن أعظم عيوب القادرین هو تقتصيرهم عن بلوغ الغاية فيما يقدرون عليه، بسبب الإهمال والتفرط والكسل. علو الكعب: يعني ارتفاع الشأن. قال المصنف: يريد نفسه. الكمال: الكمل - بفتح الكاف والميم -: الكامل، ويريد به الكمال.

من المُواظبة على الدَّرْسِ والتَّكْرَارِ في أَوَّلِ اللَّيْلِ وَآخِرِهِ؛ فَإِنْ مَا يَئِنَّ الْعِشَاءِينِ
وَوَقْتِ السَّحَرِ وَقْتِ مُبَارَكٍ، قِيلَ فِي الْمَعْنَى شِعْرًا:

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بَاشِرِ الْوَرَعَا وَجَنَّبِ النَّوْمَ وَاتْرُكِ الشَّبَعا
دَأْوِمْ عَلَى الدَّرْسِ لَا تُفَارِقُهُ فَالْعِلْمُ بِالدَّرْسِ قَامَ وَارْتَفَعَا
فَيَقْتِنُمْ أَيَّامُ الْحَدَاثَةِ وَعُنْفُوانُ الشَّبَابِ، كَمَا قِيلَ:
يَقْدِرُ الْكَدَدُ تُغْطِي مَا تَرُومُ فَمَنْ رَأَمَ الْمُنْتَى لَيْلًا يَقُومُ
وَأَيَّامُ الْحَدَاثَةِ فَاغْتَنَمُهَا أَلَا إِنَّ الْحَدَاثَةَ لَا تَدُومُ
وَلَا يُجْهِدُ نَفْسَهُ جُهْدًا، وَلَا يُضْعِفُ النَّفْسَ حَتَّى يَنْقَطِعَ عَنِ الْعَمَلِ، بَلْ يَسْتَعْمِلُ
الرِّفْقَ فِي ذَلِكَ، وَالرِّفْقُ أَصْلُ عَظِيمٍ فِي حَمْيَّةِ الْأَشْيَاءِ، قَالَ عَلَيْهَا: أَلَا إِنَّ هَذَا
الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغَلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَعَّضُ عَلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ
الْمُنْبَتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهَرَ أَبْقَى، وَقَالَ عَلَيْهَا: نَفْسِكَ مَطِينَكَ فَارْفَقْ بِهَا.
وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْهِمَةِ الْعَالِيَّةِ فِي الْعِلْمِ؛ فَإِنَّ الْمَرءَ يَطِيرُ بِهِمَّتِهِ كَالظَّيْرِ
يَطِيرُ بِحَنَاحِيَّهِ، قَالَ أَبُو الطَّيْبِ:
عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ ثَانِي الْعَزَائِمِ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمِ

وعنفوان الشباب: قوله وحدته. فأوغلوا: اذهبوا فيه وتعتمدوا. تبغض: تنقل وتصعب.
المنت: المنقطع عن السفر لاجهاده مطيته حتى نفقت. العزائم: جمع عزيمة، وهي الإرادة
والتصميم، وللمعنى أن العزائم والمكارم تكون بحسب أقدار فاعليها، فإذا كانت أقدار
فاعليها عظيمة، كانت هي عظيمة أيضاً، وإذا كانت أقدارهم صغيرة كانت عزائمهم
ومكارمهم صغيرة أيضاً؛ لأن ضعيف الحمة صغير النفس يرى الأمور الصغيرة كبيرة
عظيمة، أما علي الهمة كبير النفس؛ فإنه يرى الأمور صغيرة وصغارها سهلة هينة.

وَتَعْظِيمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِفَارُهَا وَتَضَعُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ
 وَالرَّأْسُ فِي تَحْصِيلِ الْأَشْيَاءِ الْجِدُّ وَالْهِمَّةُ الْعَالِيَّةُ، فَمَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ حِفْظُ جَمِيعِ
 كُتُبِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ حَلَّهُ، وَاقْتَرَنَ بِذَلِكَ الْجِدُّ وَالْمُواظِبَةُ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ
 يَحْفَظُ أَكْثَرَهَا أَوْ يُنْصَفُهَا، فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَّةٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ جِدٌ، أَوْ كَانَ
 لَهُ جِدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَّةٌ، فَلَا يَحْصُلُ لَهُ عِلْمٌ إِلَّا الْقَلِيلُ.

وَذَكَرَ الشَّيْخُ الْأَجَلُّ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ رَضِيُّ الدِّينِ التَّيْسَابُورِيُّ حَلَّهُ فِي كِتَابِ
 "مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ" أَنَّ ذَا الْفَرْزَيْنِ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُسَافِرْ؛ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَى الْمَشْرِقِ
 وَالْمَغْرِبِ، شَأْوَرَ الْحُكَمَاءَ فِي ذَلِكَ، وَقَالُوا: كَيْفَ أُسَافِرْ لِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْمُلْكِ؟
 فَإِنَّ الدُّنْيَا قَلِيلَةٌ فَانِيَّةٌ، وَمُلْكُ الدُّنْيَا أَمْرٌ حَقِيقِيُّ، فَلَيَسَّرْ هَذَا مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ، فَقَالَ
 الْحُكَمَاءُ: سَافِرْ؛ لِيَحْصُلَ لَكَ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، قَالَ: هَذَا أَحْسَنُ، وَقَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِي الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفَافِهَا، وَقَيْلَ:
 فَلَا تَنْجَلْ بِإِمْرِكَ وَاسْتَدِمْهُ فَمَا صَلَّى عَصَاكَ كَمُسْتَدِيمٍ
 قَالَ أَبُو حَيْفَةَ حَلَّهُ لِأَبِي يُوسُفَ حَلَّهُ: كُنْتَ يَلِيدًا فَأَخْرَجْتُكَ الْمُواظِبَةُ، وَإِيَّاكَ
 وَالْكَسِيلَ؛ فَإِنَّهُ شُؤُمٌ آفَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو نَصِيرِ الصَّفَارِ الْأَنْصَارِيُّ حَلَّهُ:
 يَا نَفْسِ يَا نَفْسِ لَا تُرْجِعِي عَنِ فِي الْبَرِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَهَلِي
 لَكُلُّ ذِي عَمَلٍ فِي الْخَيْرِ مُغْتَبِطُ وَفِي بَلَاءٍ وَشُؤُمٍ كُلُّ ذِي كَسِيلٍ
 قَالَ الْمُصَنَّفُ حَلَّهُ: وَقَدْ اتَّفَقَ لِيُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

الرأس: يعني الأصل والأساس. سفافها: الرديء الحقر. صلى عصاك: أي ليتها بالنار؛
 ليسهل تقويمها، والمعنى أن خير وسائل تقويم الموج وإصلاح الفاسد الاستدامة والاستمرار.

دعني نفسي التكاسل والتوانى
ولألا فائضي في ذا الهوان
فلم أر للكسالى الحظ يعطى
سوى ندم وحرمان الأمان
وقيل:

كم من حياء وكم عجز وكم
إياك عن كسل في البحث عن
وقد قيل: الكسل من قلة التأمل في مناقب العلم وفضائله، فينبغي للمتعلم
أن يبعث نفسه على التحصيل والجد والمواظبة بالتأمل في فضائل العلم؛ فإن
العلم يبقى ببقاء المعلمات، والمآل يفني، كما قال أمير المؤمنين علي بن
 أبي طالب كرم الله وجهه:

رضينا قسمة الجبار فتنا لنا علم وللأعداء مال
فإن المال يفني عن قريب وإن العلم يبقى لا يزال
والعلم النافع يحصل به حسن الذكر، ويبقى ذلك بعد وفاته؛ فإنه حياة أبدية،
أنشدا الشیخ الإمام الأجل ظهیر الدين مفتی الأئمة حسن بن علي المعروف
بالمرغیانی حَفَظَهُ اللَّهُ:

ذا الهوان: أي هذا الهوان. كم من حياء إن: المراد بالحياء هنا الخجل، يعني أن الكسل
كثرا ما خجل الإنسان بسيبه، ووقف عاجزا نادما. إياك عن كسل: ابتعد عن الكسل.
شد عنك: بعد عنك وصعب عليك، أي لا تتوان ولا تفرط في البحث والتقييم حتى تعر
على ما يزيل ما عندك من شبه وشكوك، فالذى استطعت أن تعلمه بنفسك اكتفيت به،
والذى صعب عليك الاهتداء إلى الصواب فيه، فاسأل عنه أهل العلم به.

الْجَاهِلُونَ فَمَوْتَى قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَالْعَالَمُونَ وَإِنْ مَاتُوا فَأَحْيَاهُ
وَأَنْشَدَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحْمَةُ اللهِ:
وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ
وَإِنَّ امْرًا لَمْ يَحْيَى بِالْعِلْمِ مَيْتٌ
وقال غيره:

أَخْوُ الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمٌ
وَذُو الْجَهْلِ مَيْتٌ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى التَّرَى
وقال آخر:

حَيَاةُ الْقَلْبِ عِلْمٌ فَاغْتَنَمْهُ وَمَوْتُ الْقَلْبِ جَهْلٌ فَاجْتَنَبْهُ
وَأَنْشَدَنَا الشَّيْخُ الْأَسْتَاذُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحْمَةُ اللهِ:
ذَا الْعِلْمِ أَعْلَى رُتبَةً فِي الْمَرَاتِبِ وَمِنْ دُونِهِ عِزُّ الْعُلَى فِي الْمَوَاكِبِ
فَذُو الْعِلْمِ يَقْرَى عِزَّهُ مُتَضَاعِفًا وَذُو الْجَهْلِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَحْتَ التَّيَارِبِ

موتي: موتى: جمع ميت، والفاء على تقدير "اما" في الكلام، أي أما الجاهلون فهم موتى.
نشور: النشور: البعث، يقال: يوم النشور أي يوم البعث. رميم: بالية وفانية.
الشري: التراب الندى، والمقصود به هنا الأرض. المواكب: جمع موكب، وهو الجماعة
السائلة ركبانا أو مشاة، والمقصود مطلق الجماعة، يعني أن هذا العلم منزلته أعلى المنازل
وأشرقها، وكل العالى والرياسات في الجماعات دونه في الشرف والرفعة.
التيارب: جمع تيرب وهو التراب، يعني أن المتعلم لا يزول عزه وبمحده بعد وفاته، بل يبقى
كاملًا غير منقوص، وقد يتضاعف بما يناله في الآخرة من سعادة ونعم، أما الجاهل فإن
عزه يزول بعد دفنه تحت التراب.

فَهَيَّاهَا لَا يَرْجُو مَدَاهَا مَنْ ارْتَقَى رُقُّى وَلَى الْمُلْكَ وَالِّي الْكَتَابِ
 سَأْمَلَى عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا فِيهِ فَاسْمَعُوا
 فِيَّ حَصَرَ عَنْ ذِكْرِ كُلِّ الْمَنَاقِبِ هُوَ النُّورُ كُلُّ الشُّورِ يَهْدِي عَنِ الْعَمَى
 وَذُو الْجَهْلِ مِنَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْغَيَّاْهِ بِهِ يَتَّجِنِي وَالنَّاسُ فِي غَفَلَاتِهِمْ
 إِلَيْهَا وَيَمْشِي آمِنًا فِي التَّحَاجَّا
 بِهِ يَرْتَجِنِي وَالرُّؤْخُ بَيْنَ التَّرَائِبِ بِهِ يَشْفَعُ الْإِنْسَانُ مَنْ رَاحَ عَاصِيَا
 إِلَى دَرَكِ التَّيْرَانِ شَرَّ الْعَوَاقِبِ فَمَنْ رَامَهُ رَامَ الْمَارِبَ كُلُّهَا
 وَمَنْ حَازَهُ قَدْ حَازَ كُلَّ الْمَطَالِبِ هُوَ الْمَنْصَبُ الْعَالِيُّ فَيَا صَاحِبَ الْحِجَّا
 إِذَا نَلَتْهُ هَوْنٌ بِفُوتِ الْمَنَاصِبِ

مداه: غايتها، والي: حاكم، الكتائب: جمع كتبية، وهي الفرقة العظيمة من الجنود، يعني أن الملوك والسلطانين أصحاب الجنود العديدة والجيوش الكبيرة، لا يبلغون من العز والجند مبلغ العلماء والحكماء. حصر: - بفتح الحاء والصاد - : عجز وعي. المناقب: جمع منقبة: المخربة والفضيلة. مو الدهر: مدى الدهر. الغياه: جمع غيبة، الظلام الشديد. الذروة: ذروة كل شيء: أعلى، ذروة الجبل: قمتها. الشماء: المرتفعة العالية، أي أن العلم ينحي صاحبه من الممالك، ويجميه من المعاطب كما تحمي الذروة العالية من التحاج إليها، وتنحي من اعتصم بها. ينتهي: يطلب النهاية. التراب: عظام الصدر، يعني أن العلم ينحي من الضلال في الحياة الدنيا ومن العذاب في الآخرة، ويرجو المرء حين تحضره الوفاة أن يغفر الله له ذنبه. يشفع الإنسان: أي يضم العالم بعض حسناته إلى حسنات من مات عاصيما، فترجع حسناته على سيناته، فيغفر له الله ويعفو عنه. والدرك: جمع دركة، وهي المنزلة، فهي في الهبوط تقابل الدرجة في الصعود. شر: بالحر صفة للثيران. العواقب: جمع عاقبة، وهي النهاية. رامه: طلبه. والمأرب: جمع مأرب: الغرض والمطلب. المصب: - بفتح الميم والصاد - المقام. الحجا: العقل. هون بفوت إلخ: اعتبر فوات المناصب الأخرى وضياعها والحرمان منها أمرا هينا لا يؤبه له ولا يهتم به.

فَإِنْ فَاتَكَ الدُّنْيَا وَطَيْبُ نَعِيمِهَا فَغَمْضْنَ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَيْرُ الْمَوَاهِبِ
وَأَنْشِدْنَ لِبعضِهِمْ:

إِذَا مَا اعْتَزَّ ذُو عِلْمٍ بِعِلْمٍ فَعِلْمُ الْفِقْهِ أَوْلَى بِاعْتِزَارٍ
فَكُمْ طَيْبٌ يَفْرُخُ وَلَا كَمْسِكٌ وَكُمْ طَيْرٌ يَطْيِئُ وَلَا كَبَارِيٌّ
وَأَنْشِدْنَ أَيْضًا:

الْفِقْهُ أَنْفَسُ شَيْءٍ أَنْتَ دَاخِرُهُ مَنْ يَدْرُسُ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَفَاحِرَهُ
فَاكْسِبْ لِيَفْسِكَ مَا أَصْبَحْتَ تَجْهِيلَهُ فَأَوْلَى الْعِلْمِ إِقْبَالٌ وَآخِرَهُ
وَكَفَى بِلَذَّةِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ دَاعِيَا وَبَايِعاً لِلْعَاقِلِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ، وَقَدْ يَتَوَلَّ الْكَسْلُ
مِنْ كَثْرَةِ الْبَلْعَمِ وَالرُّطُوبَاتِ، وَطَرِيقُ تَقْلِيلِهِ تَقْلِيلُ الطَّعَامِ، قِيلَ: أَتَفَقَ سَبِيعُونَ نَيْمَا
عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ السَّلَامُ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ النَّسْيَانَ مِنْ كَثْرَةِ الْبَلْعَمِ، وَكَثْرَةِ الْبَلْعَمِ مِنْ كَثْرَةِ
شُرْبِ الْمَاءِ، وَكَثْرَةُ شُرْبِ الْمَاءِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، وَالْعَجْزُ الْيَابِسُ يَقْطَعُ الْبَلْعَمَ،
وَكَذَلِكَ أَكْلُ الرَّيْبِ عَلَى الرَّيْقِ، وَلَا يُكْثِرُ مِنْهُ حَتَّى لَا يَحْتَاجَ إِلَى شُرْبِ الْمَاءِ،

يفوح إنـ: يفوحـ: ينتشرـ، والبيـت يـتضمن مـثـلين سـائـرين يـضرـبـ كلـ منـهما لـبيان فـضلـ
الـشيـءـ، وـغـيرـهـ أـفـضلـ مـنـهـ:

فـكمـ طـيبـ يـفـوحـ وـلاـ كـمسـكـ

أـيـ أـنـ الطـيـبـ الـذـيـ تـتـشـرـ رـائـحتـهـ وـتـعـطـرـ الجـوـ كـثـيرـ، وـلـكـنهـ فـيـ طـيـبـ رـائـحتـهـ وـجـمـالـ شـذاـهـ
لـيـسـ كـالـمسـكـ؛ لـأـنـ المـسـكـ أـطـيـبـ مـنـهـ وـأـزـكـيـ، وـكـذـلـكـ:
وـكـمـ طـيـرـ يـطـيـئـ وـلـاـ كـبـارـيـ

معـناـهـ أـنـ الـبـارـيـ أـقـوىـ الـطـيـورـ كـلـهـاـ وـأـشـدـهاـ طـيـرانـاـ.

الـفقـهـ إـنـ: المرـادـ بـالـفـقـهـ فـيـ هـذـاـ الـبـيـتـ الـعـلـمـ مـطلـقاـ. وـدـاخـرـهـ: أـيـ مـدـخـرـهـ وـمـقـتصـدـهـ. مـنـ
يـدرـسـ الـعـلـمـ: أـيـ يـقـرـأـهـ، وـلـمـ تـدـرـسـ مـفـاحـرـهـ، أـيـ لـمـ تـنـعـحـ أـسـبـابـ فـخـرـهـ وـدـوـاعـيـ مجـدهـ.

فَيَرِيدُ الْبَلْغَمَ، وَالسَّوَاقُ يُقْلِلُ الْبَلْغَمَ، وَيَرِيدُ فِي الْحَفْظِ وَالْفَصَاخَةِ؛ فَإِنَّهُ سُنَّةُ سَيِّئَةٍ، وَيَرِيدُ فِي ثَوَابِ الصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ الْقَيْءُ يُقْلِلُ الْبَلْغَمَ وَالرُّثُوبَاتِ، وَطَرِيقُ تَقْلِيلِ الْأَكْلِ التَّأْمُلُ فِي مَنَافِعِ قِلَّةِ الْأَكْلِ، وَهِيَ الصَّحةُ وَالْعِفَّةُ وَالْإِيمَانُ. وَقَدْ قِيلَ:

فَعَارَ ثُمَّ عَارَ ثُمَّ عَارَ شَقَاءُ الْمَرِءِ مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ وَعَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ جُرمٍ: الْأَكْلُونَ وَالْبَخِيلُ وَالْمُتَكَبِّرُ، وَالتَّأْمُلُ فِي مَضَارِّ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، وَهِيَ الْأَمْرَاضُ وَكَلَالَةُ الطَّبَيعِ، قِيلَ: الْبِطْنَةُ تُذَهِّبُ الْفِطْنَةَ.

(حكي) عن جالينوس أنَّه قال: الرُّمَانُ نفعٌ كُلُّهُ، والسمكُ ضررٌ كُلُّهُ، وقليلُ السمكِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الرُّمَانِ، وفِيهِ أَيْضًا إِتَالَفُ الْمَالِ، وَالْأَكْلُ فَوْقَ الشَّيْعَ ضررٌ مَحْضٌ، وَيُسْتَحْقُ بِهِ الْعِقَابُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَالْأَكْلُ بِغَيْضِهِ فِي الْقُلُوبِ، وَطَرِيقُ تَقْلِيلِ الْأَكْلِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَطْعَمَةَ الدَّيْسَمَةَ، وَيُقْدَمُ فِي الْأَكْلِ الْأَلْطَفَ وَالْأَشْهَى، وَلَا يَأْكُلُ مَعَ الْجِيَاعِ إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ غَرَضٌ صَحِيفٌ فِي كَثْرَةِ الْأَكْلِ، بِأَنْ يَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ، فَلَهُ ذَلِكَ.

الإشار: هو اختيار منفعة الغير ومصلحته عند تعارضها مع منفعة النفس ومصلحتها، كما إذا كان اثنان في حالة عطش، ومع أحدهما ما يكفيه وحده من الماء، فيقدمه لرفيقه ويحرم منه نفسه. من أجل الطعام: أي أن الطعام وحده لا يستحق أن يشقى الإنسان نفسه من أجله؛ لأن القليل منه يكفي، والذي يستحق أن يشقى الإنسان نفسه من أجله إنما هو العلم؛ لأنه السبيل الوحيد إلى الجد والشرف. جرم: إثم وذنب. والتأمل: بالرفع؛ لأنه معطوف على التأمل في منافع قلة الأكل. البطننة: - بكسر الباء - امتلاء البطن بالأكل، والقطنة: - بكسر الفاء - الذكاء والتيقظ.

فصل في بداية السبق وقدره وترتيبه

كَانَ أَسْتَاذُنَا شِيخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحْمَةُ اللَّهِ يَقْفُ بِدَأْءَةَ السَّبِيقِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ، وَكَانَ يَرْوِي فِي ذَلِكَ حَدِيثًا، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ، وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ شَيْءٍ بُدِئَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ إِلَّا وَقَدْ تَمَّ، وَهَكَذَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُو حَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ يَرْوِي هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَسْتَاذِهِ الشِّيْخِ الْإِمامِ الْأَجْلَى قَوْمَ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّشِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَسَمِعْتُ مِمَّنْ أَتَيَ بِهِ أَنَّ الشِّيْخَ أَبَا يُوسُفَ الْهَمَدَانِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقْفُ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ، وَهَذَا لِأَنَّ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ يَوْمٌ خُلِقَ فِيهِ النُّورُ، وَهُوَ يَوْمُ نَحْسِي فِي حَقِّ الْكُفَّارِ، فَيَكُونُ مِبَارَكًا لِلْمُؤْمِنِينَ.

وَأَمَّا قَدْرُ السَّبِيقِ فِي الْأَبْتِداءِ، فَقَدْ كَانَ أَبُو حَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْكِي عَنِ الشِّيْخِ الْقَاضِيِّ الْإِمامِ عُمَرِ بْنِ الْإِمامِ أَبِي بَكْرِ الرَّزِّنِجِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ مَشَايِخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْرُ السَّبِيقِ لِلْمُبْتَدِئِ قَدْرًا مَا يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّاتَيْنِ بِالرَّفْقِ، وَيَزِيدُ كُلَّ يَوْمٍ كَلِمَةً حَتَّى إِنَّهُ وَإِنْ طَالَ وَكَثُرَ، يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّاتَيْنِ، وَيَزِيدُ بِالرَّفْقِ وَالتَّدْرِيجِ، فَأَمَّا إِذَا طَالَ السَّبِيقُ فِي الْأَبْتِداءِ، وَاحْتَاجَ إِلَى الْإِعَادَةِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، فَهُوَ فِي الْأَنْتَهَاءِ أَيْضًا يَكُونُ كَذِلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَعْتَادُ ذَلِكَ،

يقف: يحصر ويقصر. في حق الكفار إنما الحق أن الأيام كلها تستوي عند الله، وأن التفاؤل أو التشاوم ببعض الأيام أو الساعات ليس من الدين في شيء. الابتداء: فاما إذا طال السبق في الابتداء، يعني أن طول الاستماع لا ينبغي أن يزيد على أن يعاد البيان والشرح مرتين في الموضوع الواحد، أما إذا زاد عن ذلك، فإنه يعتاد طول الاستماع وتكرار الشرح، فيبطفو فهمه ويتبدل عقله.

وَلَا يُبُرِّكُ تِلْكَ الْعَادَةَ إِلَّا بِجُهْدٍ كَثِيرٍ، وَقَدْ قِيلَ: السَّبَقُ حَرْفٌ وَالتَّكْرَارُ أَلْفٌ وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَدَدَّى بِشَيْءٍ يَكُونُ أَقْرَبُ إِلَى فَهْمِهِ، وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمامُ الْأَسْتَاذُ شَرْفُ الدِّينِ الْعَقِيلِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ يَقُولُ: الصَّوَابُ عِنْدِي فِي هَذَا مَا فَعَلَهُ مَشَايِخُنَا جَهْلُهُ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَخْتَارُونَ لِلْمُتَدَدِّي صِغَارَاتِ الْمَبْسوِطِ؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الفَهْمِ وَالضَّبْطِ، وَأَبْعَدُ عَنِ الْمَلَالَةِ، وَأَكْثَرُ وُقُوعًا بَيْنَ النَّاسِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَقَ السَّبَقُ بَعْدَ الضَّبْطِ وَالْإِعَادَةِ كَثِيرًا؛ فَإِنَّهُ نَافِعٌ جِدًّا، وَلَا يَكُنْبُتُ الْمُتَعَلِّمُ شَيْئًا لَا يَفْهَمُهُ؛ فَإِنَّهُ يُورِثُ كَلَالَةَ الطَّبِيعِ، وَيُنْدِهِبُ الْفِطْنَةَ وَيُضِيِّعُ أُوقَاتَهُ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْفَهْمِ عَنِ الْأَسْتَادِ، أَوْ بِالثَّائِمِ وَالتَّقْرِيرِ وَكَثْرَةِ التَّكْرَارِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا قَلَ السَّبَقُ وَكَثُرَ التَّكْرَارُ وَالثَّائِمُ يُدْرِكُ وَيَفْهَمُ، فَقَدْ قِيلَ: حِفْظُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سَمَاعِ وَقْرَبِيْنِ، وَفَهْمُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ وَقْرَبِيْنِ، وَإِذَا تَهَاوَنَ فِي الْفَهْمِ وَلَمْ يَجْتَهِدْ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ يَعْتَادُ ذَلِكَ، فَلَا يَفْهَمُ الْكَلَامَ الْيَسِيرَ، فَيَنْبَغِي أَلَا يَتَهَاوَنَ فِي الْفَهْمِ، بَلْ يَجْتَهِدْ وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُحِبِّبُ مَنْ دَعَاهُ، وَلَا يُخَيِّبُ مَنْ رَجَاهُ.

أَنْشَدَنَا الشَّيْخُ الْإِمامُ الْأَجْلُ قَوَامُ الدِّينِ حَمَادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الصَّفارِ رَحْمَةُ اللَّهِ إِمْلَاءً لِلْقَاضِيِّ الْخَلَيلِ بْنِ أَحْمَدَ السَّجْزِرِيِّ فِي ذَلِكَ:

السبق حرف إلخ: أي تعلم قليلاً وكرر ما تعلمه كثيراً، وهذا مثل قوله: قراءة كتاب واحد مرتين أفع من قراءة كتابين مرة واحدة. صغارات المبسوط: يعني الكتب الصغيرة التي تتضمن خلاصات الكتب المطلولة.

يعلق السبق: تعليق السبق كتابة خلاصة الدرس، وهو ما يسمى الآن "بالملخص السيوري". وقربيين: مثنى وقر - بكسر الواو - الحمل الثقيل. السجزري: في بعض النسخ السريخي.

اخْدُمُ الْعِلْمَ بِحِدْمَةِ الْمُسْتَفِيدِ وَأَدْمَ دَرْسَهُ بِعَقْلِ حَمِيدِ
وَإِذَا مَا حَفِظْتَ شَيْئًا أَعْدْهُ ثُمَّ أَكَدْهُ غَايَةَ التَّأْكِيدِ
ثُمَّ عَلَقْهُ كَيْ تَعُودُ إِلَيْهِ وَإِلَى دَرْسِهِ عَلَى التَّأْكِيدِ
وَإِذَا مَا أَمْتَ مِنْهُ فَوَاً فَانْتَدَبْ بَعْدَهُ لِشَيْءٍ جَدِيدٍ
مَعَ تَكْرَارِ مَا تَقَدَّمَ مِنْهُ اعْتَنَاءً بِشَأْنٍ هَذَا الْمَزِيدُ
ذَاكِرِ النَّاسَ بِالْعُلُومِ لِتَحْيَا لَا تَكُنْ مِنْ أُولَى النَّهَى بِيَعْنِيدِ
إِنْ كَتَمْتَ الْعُلُومَ أُتَسْبِتَ حَتَّى لَا تَرَى غَيْرَ جَاهِلٍ وَبَلَيْدٍ
ثُمَّ أَجْحَمْتَ فِي الْقِيَامَةِ نَارًا وَتَلَهَّيْتَ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ
وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْمُذَاكَرَةِ وَالْمُنَاظِرَةِ وَالْمُطَارَحَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
بِالْإِنْصَافِ وَالتَّائِبِ وَالتَّأْمِلِ، وَيَتَحَرَّزُ عَنِ الشَّغَبِ وَالْفَضْبِ؛ فَإِنَّ الْمُنَاظِرَةَ
وَالْمُذَاكَرَةَ مُشَارِرَةٌ، وَالْمُشَارِرَةُ إِنَّمَا تَكُونُ لِإِسْتِخْرَاجِ الصَّوَابِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا
يَحْصُلُ بِالتَّأْمِلِ وَالتَّائِبِ وَالْإِنْصَافِ، وَلَا يَحْصُلُ بِالْفَضْبِ وَالشَّغَبِ، فَإِنْ كَانَتْ
يَتَّهِيَ إِلَزَامُ الْخَضْمِ فَلَا تَحْلُ الْمُنَاظِرَةُ، وَإِنَّمَا تَحْلُ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ، وَالْتَّمْوِيَةُ
وَالْحِيلَةُ فِيهَا لَا تَجُوزُ، إِلَّا إِذَا كَانَ الْخَضْمُ مُتَعَنِّتًا لَا طَالِبًا لِلْحَقِّ.
وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِ إِلَيْشَكَالٍ، وَلَمْ يَحْضُرْهُ الْجَوَابُ،

فانتدب: سارع أي كلما توقفت من فهم شيء وحفظه، وأمنت من نسيانه، يادر إلى تعلم
غيره. ثم ألمحت إله: في هذين البيتين إشارة إلى قوله عليه السلام: من علم علما فكتمه، ألمح يوم
القيامة بلجام من نار، وقال عليه السلام: ما آتني الله أحدا علما إلا أخذ عليه الميثاق ألا يكتمه أحدا.

يَقُولُ: مَا أَلْزَمْتُهُ لَازِمٌ، وَأَنَا فِيهِ نَاظِرٌ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِمْ، وَفَائِدَةُ الْمُطَارَحَةِ وَالْمُنَاظِرَةِ أَقْوَى مِنْ فَائِدَةِ مُجَرَّدِ التَّكْرَارِ؛ لِأَنَّ فِيهَا تَكْرَارًا وَزِيادةً، فَقَدْ قِيلَ: مُطَارَحَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ تَكْرَارٍ شَهْرٍ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ مَعَ مُنْصِفٍ سَلِيمٍ الطَّبِيعَةِ، وَإِيَّاكَ وَالْمُذَكَّرَةَ مَعَ مُمْتَنَنٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ الطَّبِيعَ؛ فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ مُتَسَرِّيَةٌ، وَالْأَخْلَاقُ مُتَعَدِّيَةٌ، وَالْمُجَاوِرَةُ مُؤَثِّرَةٌ، وَفِي الشِّعْرِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ حَلِيلَهُ فَوَإِنْدَ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ قِيلَ:

الْعِلْمُ مِنْ شَرْطِهِ لِمَنْ خَدَمَهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَهُ
وَيَبْغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ مُتَأَمِّلًا فِي جَمِيعِ الْأَوْفَاتِ فِي دَقَائِقِ الْعُلُومِ
وَيَعْتَادُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّمَا تُدْرِكُ الدَّقَائِقُ بِالتَّأْمُلِ، وَلَهُذَا قِيلَ: تَأْمُلْ تُدْرِكُ، وَلَا بُدَّ مِنَ
التَّأْمُلِ قَبْلَ الْكَلَامِ حَتَّى يَكُونَ صَوَابًا؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالسَّهْمِ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْوِيمِهِ
بِالتَّأْمُلِ قَبْلَ الرَّأْمِيِّ حَتَّى يَكُونَ مُصِيبًا، قَالَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ: هَذَا أَصْلٌ كَبِيرٌ؛
وَهُوَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ الْفَقِيهِ الْمُنَاظِرِ بِالتَّأْمُلِ، وَقِيلَ: رَأْسُ الْعَقْلِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ
بِالشَّبَثِ وَالتَّأْمُلِ، قَالَ الْفَائِلُ:

أَوْصِيَكَ فِي نَظِيمِ الْكَلَامِ بِخَمْسَةِ
إِنْ كُنْتَ لِلْمُوْصِيِّ الشَّفِيقِ مُطِيعًا
وَالْكَيْفَ وَالْكَمَ وَالْمَكَانَ جَمِيعًا
لَا تُعْفِلَنْ سَبَبَ الْكَلَامِ وَوَقْتُهُ

دقائق: جمع دقيقة: المسألة الصعبة. تقويمه: تسييده وتصويبه نحو المهد. الكيف: أي طريقة إلقاء الكلام من خفض الصوت ورفعه، ومن هدوء ولطف أو شدة وعنف. والكم: المقدار من إيجاز أو إسهاب حسب مقتضى الحال.

وَيَكُونُ مُسْتَقِنِدًا فِي جَمِيعِ الْأَخْوَالِ، وَالْأَوْقَاتِ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، أَيْنَمَا وَجَدَهَا أَحَدًا، وَقِيلَ: خَذْ مَا صَفَا وَدَعْ مَا كَدَرَ.

وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْأَسْنَادَ فَخْرُ الدِّينِ الْكَاشَانِيَّ حَلَّهُ يَقُولُ: كَانَتْ جَارِيَةً أَيْنِيْ يُوسُفَ حَلَّهُ أَمَانَةً عِنْدَ مُحَمَّدٍ حَلَّهُ، فَقَالَ لَهَا مُحَمَّدٌ حَلَّهُ: هَلْ تَحْفَظِينَ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنْ أَيْنِيْ يُوسُفَ حَلَّهُ فِي الْفِقْهِ شَيْئًا؟ فَقَالَتْ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُكَرِّرُ، وَيَقُولُ: سَهْمُ الدُّورِ سَاقِطٌ، فَحَفِظْ ذَلِكَ مِنْهَا، وَكَانَتِ الْمُسَائِلَةُ مُشْكَلَةً عَلَى مُحَمَّدٍ حَلَّهُ، فَأَرْتَفَعَ إِشْكَالُهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، فَعَلِمَ أَنَّ الْإِسْتِفَادَةَ مُمْكِنَةٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَلِهَذَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ حَلَّهُ حِينَ قِيلَ لَهُ: بِمَ أَدْرَكْتَ الْعِلْمَ؟ قَالَ: مَا اسْتَنْكَفْتُ مِنَ الْإِسْتِفَادَةِ وَمَا بَخْلَتُ بِالْإِفَادَةِ، قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ حَلَّهُمَا: بِمَ أَدْرَكْتَ الْعِلْمَ؟ قَالَ: بِلِسَانِ سَوْلَوْلِ، وَقَلْبِ عَقْوُلِ.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ طَالِبُ الْعِلْمِ "مَا تَقُولُ"؛ لِكُثْرَةِ مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ: مَا تَقُولُ فِي هَذِهِ الْمُسَائِلَةِ؟، وَإِنَّمَا تَفَقَّهَ أَبُو حَيْفَةَ حَلَّهُ بِكُثْرَةِ الْمُطَلَّرَاحَةِ وَالْمُذَكَّرَةِ فِي دُكَانِهِ حِينَ كَانَ بِزَارًا، وَبِهَذَا يُعْلَمُ أَنَّ تَحْصِيلَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ يَجْتَمِعُ مَعَ الْكَسِيبِ، وَكَانَ أَبُو حَفْصِ الْكَبِيرُ حَلَّهُ يَكْسِبُ وَيُكَرِّرُ، فَإِنْ كَانَ لَا يُبَدِّل طَالِبُ الْعِلْمِ مِنَ الْكَسِيبِ لِنَفْقَةِ عِبَالِهِ وَغَيْرِهِمْ، فَلَيَكْسِبْ وَلَيُكَرِّرْ وَلَيُذَاكِرْ

سهم الدور ساقط: أي السهم الدائر يسقط ولا يحسب، وهو خاص بمسألة فقهية مشهورة في الميراث. بزارا: باائع الثياب والمنسوجات.

وَلَا يَكُسْلُ، وَلَيْسَ لِصَحِّيْحِ الْبَدْنِ وَالْعُقْلِ عَذْرٌ فِي تَرْزِكِ التَّعْلُمِ وَالتَّفَقُّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ أَفْقَرَ مِنْ أَبِي يُوسُفَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ مِنَ التَّفَقُّهِ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، فَنَعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ، الْمُنْصَرِفُ فِي طَرِيقِ الْعِلْمِ، قَبْلَ لِعَالَمٍ: بِمَ أَدْرَكَتِ الْعِلْمَ؟ قَالَ: بِأَبٍ غَنِيٍّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَصْطَانِعُ بِهِ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ؛ فَإِنَّهُ سَبَبَ زِيَادَةَ الْعِلْمِ، لِأَنَّهُ شَكَرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعُقْلِ وَالْعِلْمِ، وَهُوَ سَبَبُ الرِّيَادَةِ.

قَالَ أَبُو حَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا أَدْرَكَتِ الْعِلْمَ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ، فَكُلَّمَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِنَ الْعُلُومِ، وَوَقَفْتُ عَلَى فِقْهٍ وَحِكْمَةٍ، قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَازْدَادَ عِلْمِي، وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِالشُّكْرِ بِاللُّسَانِ وَالْجَنَانِ وَالْأَرْكَانِ وَالْمَالِ، وَيَرَى الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَالتَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَطْلُبُ الْهِدَايَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ مِنْهُ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى هَادِي مَنِ اسْتَهْدَاهُ، فَأَهْلُ الْحَقِّ - وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - طَلَبُوا الْحَقَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، الْحَقُّ الْمُبِينُ الْهَادِي الْعَاصِمُ، فَهَدَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَصَمُهُمْ عَنِ الضَّلَالَةِ، وَأَهْلُ الصَّلَالَةِ أَعْجَبُوهُ بِرَأْيِهِمْ وَعَقْلِهِمْ، وَطَلَبُوا الْحَقَّ مِنَ الْمَخْلُوقِ الْعَاجِزِ، وَهُوَ الْعُقْلُ؛ لِأَنَّ الْعُقْلَ لَا يُدْرِكُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، كَالْبَصَرِ لَا يُصِرُّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، فَحُجِّبُوا وَعَجِزُوا وَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ، فَإِذَا عَرَفَ عَجَزَ نَفْسِهِ عَرَفَ قُدرَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ، بَلْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى،

يصطدرون به: يبرأ لهم ويحسن إليهم. سبب الزيادة: أي والشكر هو سبب الزيادة؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ شَكَرُكُمْ لَأَرِيدُنَّكُم﴾ (إبراهيم: ٧). أَعْجَبُوهُمْ بِرَأْيِهِمْ: فرحاً به وسروراً منه.

وَيَطْلُبُ الْحَقَّ مِنْهُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطِ
مُسْتَقِيمٍ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَلَا يَنْجَلُ.

وَيَسْبِغُهُ أَنْ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْبُخْلِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ دَاءٍ أَدُوًا مِنَ الْبُخْلِ،
وَكَانَ أَبُو الشَّيْخِ الْإِمَامُ الْأَجَلُ شَمْسُ الْأَئمَّةِ الْحَلَوَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ فَقِيرًا، يَبْيَغُ
الْحَلْوَاءَ، وَكَانَ يُعْطِي الْفُقَهَاءَ مِنَ الْحَلْوَاءِ، وَيَقُولُ: ادْعُوا الابْنِي، فَبَيْرَكَةُ جُودِهِ
وَاعْتِقَادِهِ وَتَضَرُّعِهِ نَالَ ابْنَهُ مَا نَالَ، وَيَشْتَرِي بِالْمَالِ الْكُتُبَ، وَيَسْتَكْتُبُ فِي كُونَ
عَوْنَانَ عَلَى التَّعْلِيمِ وَالتَّفَقُّهِ.

وَقَدْ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ مَعْنَى كَثِيرٌ، حَتَّى كَانَ لَهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ مِنَ
الْوُكَلَاءِ عَلَى مَالِهِ، فَأَنْفَقَهُ كُلَّهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ ثُوبَ نَفِيسٍ، فَرَآهُ
أَبُو يُوسُفَ رَضِيَ اللَّهُ فِي ثُوبٍ خَلِقٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَبَا يَافِيَّةَ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا، وَقَالَ:
عَجَّلَ لَكُمْ وَأَجَلَ لَنَا.

وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا لَمْ يَقْبَلْهَا وَإِنْ كَانَ قَبْوُلُ الْهَدِيَّةِ سُنَّةً؛ لِمَا رَأَى أَنَّ فِي ذَلِكَ مَذَلَّةً
لِنَفِيسِهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذَلِّ نَفْسَهُ.

وَحَكِيَ أَنَّ الشَّيْخَ فَخْرَ الْإِسْلَامِ الْأَرْسَابِنْدِيَّ رَضِيَ اللَّهُ جَمَعَ قُشُورَ الْبَطِينِ الْمُلْقَأَةَ
فِي مَكَانٍ خَالٍ، فَغَسَلَهَا وَأَكَلَهَا، فَرَآهُ جَارِيَّةً، فَأَخْبَرَتْ بِذَلِكَ مَوْلَاهَا، فَاتَّخَذَ
لَهُ دَعْوَةً وَدَعَاهُ إِلَيْهَا، فَلَمْ يَقْبِلْ لِهَذَا.

حسبه: كافية، وهذا اقتباس من القرآن. فاتخذ له دعوة: أي أعد له طعاما.
لهذا: أي لولا يذل نفسه.

وَهَكُذَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ ذَا هِمَةً عَالِيَّةً لَا يَطْمَعُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِيَّاكَ وَالظَّمْعَ؛ فَإِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ.

وَلَا يَنْخُلُ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ، بَلْ يُفْقِدُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ النَّاسَ مِنْ خَوْفِ الْفَقْرِ فِي فَقْرٍ، وَكَانُوا فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ يَتَعَلَّمُونَ الْحِرْفَةَ، ثُمَّ يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ حَتَّى لَا يَطْمَعُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ، وَفِي الْحِكْمَةِ: مَنِ اسْتَغْنَى بِمَالِ النَّاسِ افْتَرَ، وَالْعَالَمُ إِذَا كَانَ طَمَاعًا لَمْ يَبْقَ لَهُ حُرْمَةُ الْعِلْمِ وَلَا يَقُولُ بِالْحَقِّ، وَلِهَذَا كَانَ يَتَعَوَّذُ صَاحِبُ الشَّرْعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ، وَيَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ. وَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَلَا يَرْجُو إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَحَافَ إِلَّا مِنْهُ تَعَالَى، وَيَظْهِرُ ذَلِكَ بِمُحَاوَزَةِ حَدَّ الشَّرْعِ وَعَدَمِهَا، فَمَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى خَوْفًا مِنَ الْمَخْلُوقِ، فَقَدْ خَافَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا لَمْ يَعْصِ اللَّهَ تَعَالَى لِخَوْفِ الْمَخْلُوقِ، وَرَاقَبَ حُدُودَ الشَّرْعِ، فَلَمْ يَخْفِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ خَافَ اللَّهَ تَعَالَى، وَكَذَا فِي جَانِبِ الرَّجَاءِ، وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَعُدَ وَيُقَدِّرَ لِنَفْسِهِ تَقْدِيرًا فِي التَّكْرِارِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِرُ قَلْبُهُ حَتَّى يَلْلُغُ ذَلِكَ الْمَبْلَغَ.

وَيَنْبُغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يُكَرِّرَ سَبَقَ الْأَمْسِ خَمْسَ مَرَاتٍ، وَسَبَقَ الْيَوْمِ الَّذِي قَبْلَهُ الْأَمْسِ أَرْبَعَ مَرَاتٍ، وَالسَّبَقُ الَّذِي قَبْلَهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، وَالَّذِي قَبْلَهُ اثْنَيْنِ،

إياك والطمع: يعني أن المرأة إنما يطمع لخوفه من فقر متوقع، والطمع فقر حاضر، فهو يتتجى إلى الفقر؛ خوفاً من الفقر كالمستجير من الرمضان بالثار. الناس: تنسب هذه الحكمة إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه. طبع: - بكسر الطاء وفتح الباء - الدنس والعيب. في جانب الرجاء: يعني إذا لم يعص الله رجاء المخلوق، فهو في الواقع لم يرج غير الله.

والَّذِي قَبْلَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَهَذَا أَدْعَى إِلَى الْحِفْظِ.

وَيَنْبَغِي أَلَا يَعْتَادُ الْمُخَافَةَ فِي التَّكْرَارِ؛ لِأَنَّ الدَّرْسَ وَالتَّكْرَارَ يَبْغِي أَنْ يَكُونَا بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، وَلَا يَجْهَرُ جَهْرًا يُجْهِدُ نَفْسَهُ؛ كَيْلًا يَنْقَطِعُ عَنِ التَّكْرَارِ، فَخَيْرِ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا.

حُكِيَ أَنَّ أَبَا يُوسُفَ حَلَّهُ كَانَ يُذَاكِرُ الْفِقْهَ مَعَ الْفُقَهَاءِ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، وَكَانَ صِهْرُهُ عِنْدَهُ يَتَعَجَّبُ فِي أَمْرِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ جَائِعٌ مِنْذُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يُنَاظِرُ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ.

وَيَنْبَغِي أَلَا يَكُونَ طَالِبُ الْعِلْمِ فَتَرَةً؛ فَإِنَّهَا آفَةٌ، وَكَانَ أَسْتَاذُنَا شِيخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ حَلَّهُ يَقُولُ: إِنَّمَا فُقِتَ شُرُكَائِي بِأَنِّي لَمْ تَقْعُ لِي الْفَتَرَةُ فِي التَّحْصِيلِ. وَكَانَ يُحْكِي عَنْ شِيخِ الْإِسْلَامِ الْأَسْنِيْجَانِيِّ: أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ فِي زَمَانِ تَحْصِيلِهِ وَتَعْلِيمِهِ فَتَرَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً بِإِنْقِلَابِ الْمُلْكِ، فَخَرَجَ مَعَ شَرِيكِهِ فِي الْمُنَاظِرَةِ إِلَى حِيثُ يُمْكِنُهُمَا الْإِسْتِمْرَارُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَظَلَّا يَدْرُسَانِيهِ مَعًا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، فَصَارَ شَرِيكُهُ شِيخُ الْإِسْلَامِ لِلشَّافِعِيَّيْنِ، وَكَانَ هُوَ شَافِعِيًّا.

وَكَانَ أَسْتَاذُنَا الشِّيْخُ الْقَاضِيُّ الْإِمَامُ فَخْرُ الْإِسْلَامُ قَاضِيُّ خَانَ يَقُولُ: يَنْبَغِي لِلْمُتَفَقَّهِ أَنْ يَحْفَظَ كِتَابًا وَاحِدًا مِنْ كُتُبِ الْفِيقَهِ دَائِمًا؛ لِيَتَيَسَّرَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ حِفْظُ مَا يَسْمَعُ مِنَ الْفِيقَهِ.

الفترة: العطلة، ومن أحل هذا كان واجبا على طلاب العلم لا يتركوا المذكورة أثناء عطلة الصيف.

فصل في التوكل

لَمْ لَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ التَّوْكِلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَلَا يَهْتَمُ لِأَمْرِ الرِّزْقِ، وَلَا يَشْغُلُ قَلْبَهُ بِذَلِكَ، رَوَى أَبُو حَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الرَّيْدِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَفَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ، كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى هُمَّهُ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ؛ فَإِنَّ مَنِ اشْتَغَلَ قَلْبَهُ بِأَمْرِ الرِّزْقِ مِنَ الْقُوَّتِ وَالْكِسْوَةِ، قَلَّمَا يَتَفَرَّغُ لِتَحْصِيلِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيِ الْأَمْوَارِ، قِيلَ:

دَعْ الْمَكَارِمَ لَا تَرْجِلْ لِبْغِيَهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاغِيمُ الْكَاسِيُّ
 قَالَ رَجُلٌ لِمَنْصُورِ الْحَلَاجِ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: هِيَ نَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغُلْهَا شَعْلَتُكَ،
 فَيَنْبُغِي لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَشْغُلَ نَفْسَهُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ، حَتَّى لَا تَشْتَغِلَ بِهَا،
 وَلَا يَهْتَمُ الْعَاقِلُ لِأَمْرِ الدُّنْيَا، لِأَنَّ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ لَا يَرُدُّ الْمُصِيَّةَ وَلَا يَنْفَعُ، بَلْ يَضُرُّ
 بِالْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَالْبَدْنِ، وَيُحْلِلُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَيَهْتَمُ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ يَنْفَعُ،
 وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا هُمُ الْمَعِيشَةُ، فَالْمُرَادُ مِنْهُ قَدْرُ
 هُمْ لَا يُنْجِلُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَلَا يَشْغُلُ الْقَلْبَ شُغْلًا يُخْلِلُ بِإِحْضَارِ الْقَلْبِ فِي
 الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَدْرَ مِنَ الْهَمِّ وَالْقَصْدِ مِنْ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ.

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ تَقْلِيلِ الْعَلَاقَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِقَدْرِ الْوُسْعِ، وَلَهَذَا اخْتَارُوا الْغُرْبَةَ،

دع المكارم إلخ: يسخر الشاعر من بحالته بهذا البيت ويقرره؛ لأنه يقول له: إنك لا تستطيع الجري في مجال المكارم والhammad؛ لأن هنك محصور في السعي وراء الطعام والكسوة، ويقصد المصنف باستشهاده بهذا البيت أن يؤيد ما قوله من أن من اشتعل قلبه بتحصيل الرزق، قلما يفكر في مكارم الأخلاق ومعالى الأمور.

وَلَا بُدَّ مِنْ تَحْمُلِ النَّصْبِ وَالْمَشَقَّةِ فِي سَفَرِ التَّعْلِمِ، كَمَا قَالَ مُوسَى - صَلَواتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعلَيْهِ - فِي سَفَرِ التَّعْلِمِ، وَلَمْ يَنْقُلْ عَنْهُ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْفَارِ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَاباً﴾ (الكهف: ٦٢)، لِيُعْلَمَ أَنَّ سَفَرَ الْعِلْمِ لَا يَخْلُو مِنَ التَّعَبِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهادِ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ، وَالْأَجْرُ عَلَى قَدْرِ التَّعَبِ وَالنَّصْبِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ وَجَدَ لَدَهُ تَفْوِيقٌ سَائِرَ لَذَاتِ الدُّنْيَا، وَلِهَذَا كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا سَهَرَ اللَّيَالِيَ وَأَنْحَلَّتْ لَهُ الْمُشْكِلَاتُ، يَقُولُ: أَيْنَ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مِنْ هَذِهِ الْلَّذَاتِ؟

وَيَبْغِي طَالِبُ الْعِلْمِ أَلَا يَشْتَغِلَ بِشَيْءٍ آخَرَ غَيْرِ الْعِلْمِ، وَلَا يُعْرِضَ عَنِ الْفَقْهِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ صَنَاعَتَنَا هَذِهِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الْلَّهُدِ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَرَكَ عِلْمَنَا هَذَا سَاعَةً، فَلَيُتَرَكْ كُهُ السَّاعَةِ.

وَدَخَلَ فَقِيهٌ عَلَى أَبِي يُوسُفَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَرَضٍ مَوْتِي، وَهُوَ يَحْوُذُ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَمِيُ الْجِمَارِ رَاكِبًا أَفْضَلُ أَمْ رَاجِلًا؟ فَلَمْ يَعْرِفْ الْجَوَابَ، فَأَجَابَ بِنَفْسِهِ، وَهَكَذَا يَبْغِي لِلفَقِيهِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِهِ فِي جَمِيعِ أُوقَاتِهِ، فَحِينَئِذٍ يَجِدُ لَدَهُ عَظِيمَةً فِي ذَلِكَ.

فليتركه الساعة: يريد أن من شرع في تعلم الفقه، وهو ينوي أن يترك الاشتغال به في وقت من الأوقات، كانت إرادته في تعلم الفقه ضعيفة وتصميمه مزعزعا، ومن شرع في عمل شيء، وهو ضعيف الإرادة مزعزع التصميم، لا ينجزه ولا يبلغ منه شيئا، لا سيما إذا كان عظيم الشأن حليل القدر كعلم الفقه، وإذا فيبني له أن يترك الاشتغال به؛ لأنه حينئذ غير منتج وعثت باطل.

وَقِيلَ: رُؤَيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ كُنْتَ فِي حَالِ النَّزَعِ؟ فَقَالَ: كُنْتُ مُتَأْمِلاً فِي مَسَأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الْمُكَاتِبِ، فَلَمْ أَشْعُرْ بِخُرُوجِ رُؤُجِي، وَقِيلَ: إِنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ: شَغَلَنِي مَسَائِلُ الْمُكَاتِبِ عَنِ الإِسْتِعْدَادِ لِهَذَا الْيَوْمِ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ تَوَاضُعاً.

محمد: هو محمد بن الحسن عليهما السلام. المكاتب: بصيغة اسم المفعول: هو العبد الذي تعاقد مع سيده أن يعتقه نظير مبلغ من المال مؤجل، يصير حرا بعد سداده لسيده.

فصل في وقت التحصيل

فَيْلٌ: وَقْتُ التَّعْلِمِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحَدِ، وَأَفْضَلُ الأَوْقَاتِ شَرْخُ الشَّيَابِ،
وَوَقْتُ السَّحَرِ، وَمَا بَيْنَ الْعِشَائِينِ.

وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَغْرِقَ حَمِيقَ أَوْقَاتِهِ، فَإِذَا مَلَّ مِنْ عِلْمٍ، يَشْتَغِلُ بِعِلْمٍ
آخَرَ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما إِذَا مَلَّ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ، يَقُولُ: هَاتُوا دِيْوَانَ
الشِّعْرَاءِ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رضي الله عنه لَا يَنَامُ اللَّيْلَ، وَكَانَ يَضْعُعُ عِنْدَهُ الدَّفَاتِرَ،
وَكَانَ إِذَا مَلَّ مِنْ نَوْعٍ يَنْظُرُ فِي نَوْعٍ آخَرَ.

شرح الشباب: أوله، والسحر: قبيل الصبح، والعشاءان: المغرب والعشاء.

فصل في الشفقة والنصيحة

ينبغي أن يكون صاحب العلم مشفقاً ناصحاً غير حاسد، فالحسد يضر ولا ينفع، وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله يقول: إن المعلم يمكن عالماً؛ لأن المعلم يريد أن تكون تلاميذه علماً، فيبركة اعتقاده وشفقته يمكن ابنه عالماً.

وكان يحكى أن الصدر الأجل برهان الأئمة رحمه الله جعل وقت السبق لابنته الصدر الشهيد حسام الدين، والصدر السعيد تاج الدين رحمهما الله وقت الضحورة الكبرى بعد جميع الأسباق، وكانا يقولان: طبعتنا تكمل وتتمل في ذلك الوقت، فقال أبوهما رحمه الله: إن الغرباء وأولاد الكبار يتولني من أقطار الأرض، فلا بد من أن أقدم أسباقهم، فيبركة شفقته تفوق ابناه على أكثر فقهاء أهل الأرض في ذلك العصر.

وينبغي لا ينزع أحداً ولا يخاصمه، لأنه يضيع أو قاته، قيل: المحسن سيحزن بإحسانه، والمسيء ستكفيه مساويه، أنسداني الشيخ الإمام ركن الإسلام محمد بن أبي بكر المعروف أيام خواهر زاده المفتى رحمه الله قال: أنسداني سلطان الشريعة يوسف الهمданى رحمه الله:

وَلَا تَجْزِ إِنْسَانًا عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ سَيْكُفِيهِ مَا فِيهِ وَمَا هُوَ فَاعِلُهُ
وَقَيلَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْغَمَ أَنفَ عَدُوِّهِ، فَلْيَكْرِزْ هَذَا الشِّعْرَ وَأَتَشَدِّدُ:
إِذَا شِئْتَ أَنْ تُلْقِي عَدُوكَ رَاغِمًا وَتَقْتُلَهُ غَمًا وَتَحْرِقَهُ هَمًا

فَرُمْ لِلْعَلَا وَازْدَدْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّهُ مَنِ ازْدَادَ عِلْمًا زَادَ حَاسِدُهُ غَمًّا
وَعَلَيْكَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِمَصَالِحِ نَفْسِكَ لَا بِقَهْرِ عَدُوكَ، فَإِذَا قُمْتَ بِمَصَالِحِ نَفْسِكَ
تَضَمَّنَ ذَلِكَ فَهْرَ عَدُوكَ، وَإِيَّاكَ وَالْمُعَادَةَ؛ فَإِنَّهَا تَفْضَحُكَ وَتُضِيقُ أُوقَاتَكَ،
وَعَلَيْكَ بِالثَّحَمُلِ لَا سَيِّمًا مِنَ السُّفَهَاءِ، قَالَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّنَا
وَعَلَيْهِ - : احْتَمِلُوا مِنَ السَّفِيفَيْهِ وَاحِدَةً؛ كَيْ تَرْبَحُوا عَشْرًا، وَأَنْشَدْتُ لِبَعْضِهِمْ:
بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرَ عَيْرَ خَتَالٍ وَقَالَيْ
وَلَمْ أَرَ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ وَقْعًا وَأَصْبَحَ مِنْ مُعَادَةِ الرِّجَالِ
وَدُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرًّا فَمَا شَيْءَ أَمْرٌ مِنَ السُّؤَالِ
وَإِيَّاكَ أَنْ تَظْنَنَ شَرًّا بِالْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّهُ مِنْشَا العِدَاوَةِ، وَلَا يَحْلُّ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ:
ظُنِّنُوا بِالْمُؤْمِنِينَ حَيْرًا، وَإِنَّمَا يَنْشَا ذَلِكَ مِنْ خُبُثِ النَّيَّةِ وَسُوءِ السُّرِيرَةِ، كَمَا قَالَ

أبو الطيب:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَعَادَى مُحِبِّيهِ يَقُولُ عَدَاتِهِ
وَأَنْشَدْتُ لِبَعْضِهِمْ:
تَنَحَّ عَنِ الْقَبِيْحِ وَلَا تُرِدَهُ
وَمَنْ أَوْلَيْتَهُ حَسَنًا فَزِدْهُ
وَاصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٍ

فَرُمْ للعلا: اطلب العلا، فعل أمر من رام الشيء: طلبه. ختال و قالى: مخادع.
قالى: كاره، من قلاه يقليله إذا كرهه. يعتاده: يتباhe ويrid على ذهنه من خواطر وأوهام.
عداته: العداة - بضم العين - جمع العادي: وهو العدو.

سْتَكْفِي مِنْ عَدُوِّكَ كُلَّ كَيْدٍ إِذَا كَادَ الْعَدُوُّ فَلَا تُكْدُهُ
وَأَشِدْتُ لِلشَّيْخِ الْعَمِيدِ أَبِي الْفَتَحِ الْبَسْتَيْنِ حَتَّى:
ذُو الْعَقْلِ لَا يَسْلُمُ مِنْ جَاهِلٍ يَسْوُمُهُ ظُلْمًا وَاعْنَاتًا
فَلَيُخْتِرِ السَّلْمَ عَلَى حَرْبِهِ وَلَيُلْزِمِ الْإِنْصَاتَ إِنْ صَاتَا

اعناتا: الإعراض من اعتنه إذا أحرجه وأوقعه فيما لا يستطيع الخروج منه.
الإنصات: الإصغاء، ويريد به السكوت. إن صاتا: أي إن أحدهم صوتا وصاح، فالآلف فيه للإشارة.

فصل في الاستفادة

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ طَالِبُ الْعِلْمِ مُسْتَفِيدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ، حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ الْفَضْلُ، وَطَرِيقُ الْإِسْتِفَادَةِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَحْبَرَةً، حَتَّى يَكُتبَ مَا يَسْمَعُ مِنَ الْفَوَائِدِ، فَقَدْ قِيلَ: مَنْ حَفِظَ فَرَّ، وَمَنْ كَتَبَ شَيْئًا قَرَأَ، وَقِيلَ: الْعِلْمُ مَا يُؤْخَذُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ؛ لِأَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ، وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ.

وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْأَدِيبَ الْأَسْنَادَ زَيْنَ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفَ بِالْأَدِيبِ الْمُخْتَارِ يَقُولُ: قَالَ هَلَالُ بْنُ يَسَارٍ: رَأَيْتُ الشَّيْخَ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ لِأَصْحَاحِهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَعِدْ لِي مَا قُلْتَ لَهُمْ، فَقَالَ لِي: هَلْ مَعَكَ مَحْبَرَةً؟ فَقُلْتُ: مَا مَعِي مَحْبَرَةً، فَقَالَ: يَا هَلَالًا! لَا تُفَارِقِ الْمَحْبَرَةَ؛ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهَا، وَفِي أَهْلِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَوَصَّى الصَّدُرُ الشَّهِيدُ حُسَامُ الدِّينِ ابْنَهُ شَمْسَ الدِّينِ أَنْ يَحْفَظَ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا يَسِيرًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ يَكُونُ كَثِيرًا، وَاشْتَرَى عِصَامُ بْنُ يُوسُفَ قَلَمًا بِدِينَارٍ؛ لِيَكُتبَ مَا سَمِعَهُ فِي الْحَالِ، فَالْعُمُرُ قَصِيرٌ وَالْعِلْمُ كَثِيرٌ، فَيَنْبَغِي أَلَا يُضِيعَ الْأَوْقَاتَ وَالسَّاعَاتِ، وَيَغْتَسِمَ اللَّيَالِي وَالْخَلَوَاتِ.

عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعَاذِ الرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ: الَّلَّيْلُ طَوِيلٌ فَلَا تُقْصِرُهُ بِمَنَامِكَ، وَالنَّهَارُ مُضِيٌّ فَلَا تُكَدِّرُهُ بِأَثَامِكَ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَغْتَسِمَ الشُّيُوخُ وَيَسْتَفِيدَ مِنْهُمْ، وَلَئِنْ كُلُّ مَا فَاتَ يُدْرِكُ، كَمَا قَالَ أَسْنَادُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَلِيُّ بْنُ شِعْبَانَ كَبِيرٌ أَدْرَكَهُ

من حفظ فر: أي من حفظ شيئاً فر منه ما حفظه، ومن كتب شيئاً استقر وسكن عنده ما كتبه.

وَمَا اسْتَخْبِرْتُهُ.

وَأَقُولُ عَلَى هَذَا الْفَوْتِ مُنْشِئًا هَذَا الْبَيْتِ :

لَهُفَيْيِي عَلَى فَوْتِ التَّلَاقِي لَهُفَا مَا كُلُّ مَا فَاتَ وَيُفْنِي يُلْفِي
قَالَ عَلَيَّ كَرَمُ اللَّهُ وَجْهُهُ : إِذَا كُنْتَ فِيْ أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ ، وَكَفَى بِالْإِعْرَاضِ عَنْ عِلْمِ
اللَّهِ حِزْبًا وَخَسَارًا ، وَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنْهُ لَيْلًا وَنَهَارًا .

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ تَحْمُلِ الْمَشَقَةِ ، وَالْمَذَلَّةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَالتَّمَلُّقِ مَذْمُومٌ
إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ التَّمَلُّقِ لِلْأَسْتَاذِ وَالشَّرِكَاءِ وَغَيْرِهِمْ ؛ لِلْإِسْتِفَادَةِ
مِنْهُمْ ، قِيلَ : الْعِلْمُ عِزٌّ لَا ذُلٌّ فِيهِ ، وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بِذُلٍّ لَا عِزٌّ فِيهِ ، وَقَالَ الْقَائِلُ :
أَرَى لَكَ نَفْسًا تَشْتَهِيْ أَنْ تُعَزَّزَهَا فَلَسْتَ تَنَالُ الْعِزَّ حَتَّى تُذَلَّهَا

يلفى: يوجد. فكن فيه: يعني إذا كنت في طلب أمر، فتفرغ له، واجتهد في تحصيله.

فصل في الورع في حالة التعلم

رَوَى بَعْضُهُمْ حَدِيثًا فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي تَعْلِيمِهِ، ابْتَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَحَدِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءِ: إِمَّا أَنْ يُمْيِتَهُ فِي شَبَابِهِ، أَوْ يُؤْقِعَهُ فِي الرَّسَاتِيقِ، أَوْ يَبْتَلِيهِ بِتَحْدِيمِ السُّلْطَانِ، فَمَهْمَّا كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ أُورَعَ، كَانَ عِلْمُهُ أَنْفَعَ، وَالْتَّعْلُمُ لَهُ أَيْسَرَ، وَفَوَادِهُ أَكْثَرَ، وَمِنَ الْوَرِعِ الْكَامِلِ أَنْ يَحْتَرَزَ عَنِ الشَّبَابِ وَكُثْرَةِ النَّوْمِ، وَكُثْرَةِ الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَنْفَعُ، وَأَنْ يَتَحَرَّزَ عَنْ أَكْلِ طَعَامِ السُّوقِ إِنْ أَمْكَنَ، لِأَنَّ طَعَامَ السُّوقِ أَقْرَبُ إِلَى التَّجَارَةِ وَالْعِيَانَةِ، وَأَبْعَدُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَأَقْرَبُ إِلَى الْغَفْلَةِ، وَلَا يَبْصَارُ الْفُقَرَاءَ تَقْعُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الشَّرَاءِ مِنْهُ، فَيَتَأَذَّوْنَ بِذَلِكَ، فَتَذَهَّبَ بِرَكْتَهُ.

حُكِيَ أَنَّ الشَّيْخَ الْإِمامَ الْجَلِيلَ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَضَّلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ فِي حَالٍ تَعْلِمِهِ لَا يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ السُّوقِ، وَكَانَ أَبُوهُ يَسْكُنُ فِي الرَّسَاتِيقِ، وَيَهْمِي لَهُ طَعَامَهُ، وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَرَأَى فِي بَيْتِ أَبِيهِ خُبْزَ السُّوقِ يَوْمًا، فَلَمْ يُكَلِّمْهُ سَاخِطاً عَلَيْهِ فَاعْتَدَرَ أَبُوهُ، وَقَالَ: مَا اشْتَرَيْتُهُ وَلَمْ أَرْضَ بِهِ، وَلِكِنْ أَخْضَرَهُ شَرِيكِيُّ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: لَوْ كُنْتَ تَحْتَاطُ وَتَتَوَرَّعْ عَنْ مِثْلِهِ لَمْ يَحْتَرِئَ شَرِيكُكَ عَلَى ذَلِكَ، وَهَكَذَا كَانُوا يَتَوَرَّعُونَ، فِلَذِلِكَ وَقَفُوا لِلْعِلْمِ وَالشَّرِ، حَتَّى يَقِيَ اسْمُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَوَصَّى فَقِيهٌ مِنْ زُهَادِ الْفُقَرَاءِ طَالِبَ عِلْمٍ، فَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ أَنْ تَتَحَرَّزَ عَنِ الْغِيَةِ وَعَنْ مُجَالَسَةِ

المِكْثَارُ، وَقَالَ: إِنَّ مَنْ يُكْثِرُ الْكَلَامَ، يَسْرِقُ عُمُرَكَ وَيُضَيِّعُ أُوقَاتَكَ، وَمَنْ الْوَرَعُ أَنْ يَجْتَنِبَ أَهْلَ الْفَسَادِ وَالْمُعَاصِيِّ وَالْتَّعْطِيلِ، وَيُحَاوِرَ الصُّلْحَاءَ، فَإِنَّ الْمُحَاوِرَةَ مُؤْتَرَةً لَأَمْحَالَةَ، وَأَنْ يَجْلِسَ مُسْتَقِبِلًا الْقِبْلَةَ، وَيَكُونَ مُسْتَنَدًا بِسُنْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَعْتَنِمَ دُعَاءَ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَيَحْتَرِزَ عَنْ دُعَاءِ الْمَظْلُومِينَ.

حَرَكَيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِلْغَربَةِ، وَكَانَا شَرِيكَيْنِ، فَرَجَعاً بَعْدَ سِنِينَ إِلَى بَلَدِهِمَا وَقَدْ فَقَهَا أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَفْقَهِ الْآخَرُ، فَتَأَمَّلَ فَقَهَاءُ الْبَلْدَةِ، وَسَأَلُوا عَنْ حَالِهِمَا وَتَكَرَّرَاهُمَا وَجَلُوْسِهِمَا، فَأَخْبَرُوْا أَنَّ جَلُوسَ الَّذِي تَفَقَّهَ، فِي حَالِ التَّكَرَّارِ كَانَ مُسْتَقِبِلًا الْقِبْلَةَ وَالْمِصْرَ الَّذِي حَصَّلَ الْعِلْمَ فِيهِ، وَالْآخَرُ كَانَ مُسْتَدِيرًا الْقِبْلَةَ، وَوَجْهُهُ إِلَى غَيْرِ الْمِصْرِ، فَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ أَنَّ الْفَقِيهَ فَقَهَ بِيَرَكَةِ اسْتِقِبَالِ الْقِبْلَةِ؛ إِذْ هُوَ السُّنَّةُ فِي الْجَلُوسِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَبِيَرَكَةِ دُعَاءِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ الْمِصْرَ لَا يَخْلُو عَنِ الْعُبَادِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ عَابِدًا مِنَ الْعُبَادِ دَعَا لَهُ فِي اللَّيْلِ، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ لَا يَتَهَاوَنَ بِالْأَدَابِ وَالسُّنْنَ؛ فَإِنَّ مَنْ يَتَهَاوَنُ بِالْأَدَابِ يُحْرِمُ السُّنَّةَ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالسُّنْنَ حُرِمَ الْفَرَائِضَ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْفَرَائِضِ حُرِمَ الْآخِرَةَ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْثِرَ الصَّلَاةَ، وَيُصَلِّي صَلَاةَ الْخَاشِعِينَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عَوْنُ لَهُ عَلَى التَّحْصِيلِ وَالْتَّعْلِمِ، أَنْشَدَتُ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ الزَّاهِدِ الْحَاجِ نَجْمِ الدِّينِ عُمَرَ بْنَ مُحَمَّدِ النَّسَفيِّ:

كُنْ لِلأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي حَافِظًا
وَعَلَى الصَّلَاةِ مُؤَاطِبًا وَمُحَافِظًا
وَاطْلُبْ عِلْمَ الْشَّرْعِ وَاجْهَدْ
بِالطَّيَّبَاتِ تَصِرْ فَقِيهَا حَافِظًا
وَاسْأَلْ إِلَهَكَ حِفْظَ حِفْظِكَ رَاعِبًا
فِي فَضْلِهِ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا
وقال أيضاً عليه السلام:

أَطِيعُوا وَجِدُّوا وَلَا تَكْسِلُوا وَأَنْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ تَرْجِعُونَ
وَلَا تَهْجُعوا فَخِيَارُ الْوَرَى قَيْنَالا مِنَ اللَّيلِ مَا يَهْجَعُونَ
وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَضِحَ دَفْتَرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ لِيُطَالِعُ، وَقِيلَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ دَفْتَرٌ
فِي كُمَّهِ، لَمْ تَثْبِتِ الْحِكْمَةُ فِي قَلْبِهِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الدَّفْتَرِ بِيَاضٍ؛ لِيُكْتَبْ
فِيهِ مَا سَمِعَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ، وَيَسْتَضِحَ الْمَحْبَرَةَ؛ لِيُكْتَبْ مَا يَسْتَمِعُ، وَقَدْ
ذَكَرْنَا حَدِيثَ هِلَالِ بْنِ يَسَارٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لا تَهْجُعوا إِلَيْهِمْ: لا تَنَامُوا، خِيَار: جَمْعُ خَيْرٍ بِتَشْدِيدِ الباءِ المَكْسُورَةِ. الْوَرَى: الْخَلْقُ، وَفِي
الشِّعْرِ اقتِبَاسٌ مِنَ الْقُرْآنِ. كُمَّهُ: الْكَمُّ: مَدْخَلُ الْيَدِ وَمَخْرَجُهَا مِنَ الثَّوْبِ وَالْمَرَادُ الْجَيْبُ.

فصل فيما يورث الحفظ

وأقوى أسباب الحفظ الحجد والمواطبة وقليل الغداء وصلوة الليل، وقراءة القرآن من أسباب الحفظ، قيل: ليس شيء أزيد للحفظ من قراءة القرآن نظراً، وقراءة القرآن نظراً أفضلاً، ورأى شداد بن حكيم بعض إخوانه في النمام بعد وفاته، فقال: أي شيء وجده أفع؟ قال: قراءة القرآن نظراً، ويقول عند رفع الكتاب: بسم الله وبسْبَحَانَ اللهُ وَالْحَمْدُ لِللهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ العظيم العزيز عدد كل حرف كتب ويكتب أبداً الأبدين ودهر الدهارين، ويقول بعد كُل مكتوبة: آمنت بالله الواحد الأحد الحق، وحده لا شريك له، وكفرت بما سواه، ويكتب الصلاة على النبي ﷺ، فإنه رحمة للعالمين، قيل:

شكوت إلى وكيع سوء حفظني فأرشدني إلى ترك المعاصي فإن الحفظ فضل من إلهي وفضل الله لا يهدى ل العاصي والسواء وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر، وأكل إحدى وعشرين زبالة حمراء كل يوم على الريق يورث الحفظ ويسفي من كثير من الأمراض والأنسقام، وأكل ما يقلل البلغم والرطوبات يزيد في الحفظ، وأماماً ما يورث التسستان، فالمعاصي وكثرة الذنب، والهموم والأحزان في أمور الدنيا، وكثرة الأشغال والعلاقات، وكل ما يزيد في البلغم يورث التسستان.

وقد ذكرنا أنه لا ينبغي للغافل أن يهتم لأمر الدنيا، لأنها يضر ولا ينفع، .. .

نظراً: أي تلاوة في المصحف. مكتوبة: أي صلاة مفروضة.

الكندر: - بضم الكاف والدال - نوع من العلك "اللبان الذكر".

وَهُمُومُ الدُّنْيَا لَا تَخْلُو عَنِ الظُّلْمَةِ فِي الْقَلْبِ، وَهُمُومُ الْآخِرَةِ لَا تَخْلُو عَنِ التُّورِ
فِي الْقَلْبِ، وَيَظْهُرُ أَتْرُهُ فِي الصَّلَاةِ، وَهُمُ الدُّنْيَا يَمْنَعُهُ عَنِ الْخَيْرِ، وَهُمُ الْآخِرَةِ
يَحْمِلُهُ عَلَيْهِ، وَالإِشْتِغَالُ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْخُشُوعِ، وَتَحْصِيلُ الْعِلْمِ يَنْفِي الْهَمَّ
وَالْحَزْنَ، كَمَا قَالَ الشَّيْخُ الْإِمامُ نَصْرُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْغِيْنَانِيُّ فِي قَصِيْدَتِهِ لَهُ:

اعْتَنِ نَصْرَ بْنَ حَسَنٍ بِكُلِّ عِلْمٍ يُخْتَرُنْ
ذَاكَ الَّذِي يَنْفِي الْحَزْنَ وَغَيْرَهُ لَا يُؤْتَمِنْ

وَقَالَ الشَّيْخُ الْإِمامُ الْأَجْلُّ نَحْمُ الدِّينُ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ النَّسَفِيُّ فِي أُمٌّ وَلَدِهِ لَهُ:

سَلَامٌ عَلَى مَنْ تَيَمَّتْنِي بِطَرْفِهَا
وَلَمْعَةٌ خَدِيْهَا وَلَمْحَةٌ طَرْفِهَا
سَبَّتْنِي وَأَصَبَّتْنِي فَتَاهَةٌ مَلِيْحَةٌ
تَحْرَيَتْ الْأَوْهَامُ فِي كُنْهِ وَصْفَهَا
فَقَلْتُ ذَرِّنِي وَأَعْذِرِنِي فَإِنَّنِي
شُغْفَتْ بِتَحْصِيلِ الْعِلُومِ وَكَشْفَهَا
وَلِي فِي طَلَابِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالثُّقَّى
غَنِيَ عَنِ غِنَاءِ الْغَانِيَاتِ وَعَرْفَهَا
أَمَا أَسْبَابِ نِسْيَانِ الْعِلْمِ فَأَكْلُ الْكُزْبَرَةِ الرَّطْبَةِ، وَالْتُّفَّاحِ الْحَامِضِ، وَالنَّاظِرِ إِلَى
الْمَصْلُوبِ، وَقِرَاءَةِ لَوْحِ الْقُبُورِ، وَالْمُرْوُرُ بَيْنَ قَطَارِ الْجِمَالِ، وَإِلْقَاءِ الْقَمْلِ الْحَيِّ
عَلَى الْأَرْضِ، وَالْحَجَامَةُ عَلَى نُقْرَةِ الْفَفَا، كُلُّهَا ثُورِثُ النِّسْيَانَ.

من تيمعني إلخ: شغفني حبا. لمعة الخدين: بريقها ونضارتها. لمحه طرفها: يقال: لمح إليه -
بفتح الميم - أي احتلست النظر إليه. والطرف: العين، والمقصود هنا حسن النظر ورشاقة
الالتفاتات. سبتي وأصبتني إلخ: سبتي: أسررتني. أصبتني: شاقتني وأهاجت بي نشوة الصبا.
الأوهام: هنا يمعن العقول. كنه وصفها: حقيقة وصفها، وإنما تحرير العقول في حقيقة وصفها؛
لأنما انبهرت بجماليها كما تنبهر العين بضوء الشمس، فلا تستطيع النظر إليها. ذريني: اتركتيني.
اعذرني: اسمحي لي بالتخلى عن الاشتغال بحبك. ولني في طلاب إلخ: طلاب: طلب، غناه:
بكسر الغين - التلحين والتغنى. الغانيات: الجميلات. وعرف: - بفتح العين - الرائحة الطيبة.

فصل فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيد

في العمر وما ينقص

لَمْ لَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْقُوَّتِ وَمَعْرِفَةِ مَا يَزِيدُ فِيهِ، وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَالصَّحَّةِ؛ لِيَتَفَرَّغَ طَالِبُ الْعِلْمِ لِلسَّعْيِ إِلَى غَرَضِهِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ صَنَفُوا كُتُبًا، فَأَوْرَدْتُ هَهُنَا بَعْضَهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِصَارِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَرُدُّ الْقَدْرُ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبَرُّ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرِمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، تَبَتَّ بِهَذَا الْحَدِيثَ أَنَّ ارْتِكَابَ الذَّنْبِ سَبِبُ حِرْمَانِ الرِّزْقِ، خَصُوصًا الْكَذِبَ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الْفَقْرَ، وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ خَاصٌّ، وَكَذَا نَوْمُ الصُّبْحَةِ يَمْنَعُ الرِّزْقَ، وَكُثْرَةُ النَّوْمِ تُورِثُ الْفَقْرَ وَفَقْدَ الْعِلْمِ أَيْضًا، قَالَ الْفَائِلُ:

سُرُورُ النَّاسِ فِي لُبْسِ الْلِّبَاسِ وَجَمْعُ الْعِلْمِ فِي تَرْكِ النَّعَاسِ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

آتِيَسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنَّ لَيَالِيَ تَمُرُّ بِلَا نَفْعٍ وَتُخْسَبُ مِنْ عُمْرِي
وقال آخر:

قُمُ الْلَّيْلَ يَا هَذَا لَعْلَكَ تَرْشُدُ إِلَى كَمْ تَنَامُ الْلَّيْلَ وَالْعُمُرُ يَنْفَدُ
وَالنَّوْمُ عُرْيَانًا، وَالْبُولُ عُرْيَانًا، وَالْأَكْلُ جُنْبًا، وَالْأَكْلُ مُتَكَبِّلًا عَلَى جَنْبِ، وَالتَّهَاوُنُ
بِسُقَاطِ الْمَائِدَةِ، وَحَرْقُ قِسْرِ الْبَصَلِ وَالثُّومِ، وَكَنْسُ الْيَيْتِ بِالْمِنْدِيلِ،

بسقطة المائدة: سقطة الشيء: ما يسقط منه عادة. المائدة: الخوان، فسقطات المائدة هو فرات الخنزير ونحوه.

وَكَسْنُ الْبَيْتِ فِي اللَّيلِ، وَتَرَكُ الْقُمَامَةُ فِي الْبَيْتِ، وَالْمَشْيُ قُدَّامَ الْمَشَايِخِ،
وَنِدَاءُ الْأَبْوَيْنِ بِاسْمِهِمَا، وَالْخِلَالُ بِكُلِّ خَشَبَةٍ، وَغَسْلُ الْيَدَيْنِ بِالْطَّينِ
وَالثَّرَابِ، وَالْحُلُوسُ عَلَى الْعَتَبَةِ، وَالْأَنْكَاءُ عَلَى أَحَدِ مِصْرَاعَيِ الْبَابِ، وَالْتَّوَضُّوُ
فِي الْمَبِرَزِ، وَخَيَاطَةُ الشَّوَّبِ عَلَى بَدْنِهِ، وَتَجْفِيفُ الْوَجْهِ بِالشَّوَّبِ، وَتَرَكُ بَيْتِ
الْعَنْكَبُوتِ فِي الْبَيْتِ، وَالتَّهَاوُنُ بِالصَّلَاةِ، وَإِسْرَاعُ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ بَعْدَ
صَلَاةِ الْفَحْرِ، وَالْإِبْكَارُ بِالذَّهَابِ إِلَى السُّوقِ، وَالْإِبْطَاءُ فِي الرُّجُوعِ مِنْهُ، وَشِرَاءُ
كُسَيْرَاتِ الْخُبْزِ مِنَ الْفُقَرَاءِ السُّؤَالِ، وَدُعَاءُ الشَّرَّ عَلَى الْوَلَدِ، وَتَرَكُ تَخْمِيرِ
الْأَوَانِيِّ، وَإِطْفَاءُ السَّرَاجِ بِالنَّفَسِ، كُلُّ ذَلِكَ يُورِثُ الْفَقَرَ، عُرِفَ ذَلِكَ بِالآثارِ،
وَكَذَا الْكِتَابَةُ بِالْقَلْمَنْ الْمَعْقُودُ، وَالْإِمْتَشَاطُ بِمِشْطٍ مُنْكَسِرٍ، وَتَرَكُ الدُّعَاءِ
بِالْخَيْرِ لِلْوَالِدَيْنِ، وَالْتَّعَمُ قَاعِدًا، وَالْتَّسَرُّولُ قَائِمًا، وَالْبَخْلُ وَالتَّقْيِيرُ وَالْإِسْرَافُ
وَالْكَسْلُ وَالتَّوَانِيُّ، وَالتَّهَاوُنُ فِي الْأُمُورِ.

قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ، وَالْبَكُورُ مُبَارَكٌ يَرِيدُ فِي جَمِيعِ
النَّعْمٍ خُصُوصًا فِي الرِّزْقِ، وَحُسْنُ الْخَطَّ مِنْ مَفَاتِيحِ الرِّزْقِ، وَبَسْطُ الْوَجْهِ
وَطِيبُ الْكَلَامِ يَرِيدُ فِي الْحِفْظِ وَالرِّزْقِ، وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيِّ هُنْدِيَّ: كَمْنُ
الْفِنَاءِ وَغَسْلُ الْأَنَاءِ مَجْلِبَةُ الْغَنَىِ، وَأَفْوَى الْأَسْبَابِ الْحَالِبَةُ لِلرِّزْقِ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ

القِمَامَةُ: الكناسة. الْخِلَالُ: أي يخلل أسنانه بأي شيء يجده، والواجب أن يتخلل بعواد
الْخِلَال؛ لأنه رفيق وليس منه ضرر. المبرز: مكان التبرز، المرحاض.
تَخْمِيرُ الْأَوَانِيِّ: تنظيفها. بالقلم المعقود: هو القلم الذي كسر، ثم ربط بشيء؛ ليتمكن استعماله.
الْتَّسَرُّولُ: لبس السروال.

بِالْعَظِيمِ وَالْحَشُوعِ، وَتَعْدِيلُ الْأَرْكَانِ وَسَائِرِ وَاجِبَاتِهَا وَسُنَّتِهَا وَآدَابِهَا، وَصَلَةُ الصُّحَى فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ خُصُوصًا بِاللَّيْلِ وَقَتَ النَّوْمِ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْمُلْكِ وَالْمُزَمِّلِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَأَلَّمْ نَشَرَخْ لَكَ، وَحُضُورُ الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْأَدَانِ، وَالْمُدَاؤَمَةُ عَلَى الطَّهَارَةِ، وَأَدَاءُ سُنَّةِ الْفَحْرِ وَالْوِتْرِ فِي الْبَيْتِ، وَأَلَا يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الدُّنْيَا بَعْدَ الْوِتْرِ، وَلَا يُكْثِرُ مُحَالَسَةَ النِّسَاءِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَلَا يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ لَغُو غَيْرِ مُفِيدٍ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ، قَيْلَ: مَنِ اشْتَغَلَ بِمَا لَا يَعْلَمُ يَفْوُتُهُ مَا يَعْلَمُ، قَالَ بُزُّرْجُهُمْرُ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُكْثِرُ الْكَلَامَ فَاسْتَقِنْ بِحُنُونِهِ، وَقَالَ عَلَيْهِ كَرَمُ اللَّهُ وَجْهُهُ: إِذَا تَمَّ عَقْلُ نَفْسِ الْكَلَامِ، وَقَالَ الْمُصَنَّفُ حَلَّهُ: أَتَفَقَ لِي هَذَا الْمَعْنَى:

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ قَلَّ كَلَامُهُ
وَأَيْقَنْ بِحُمْقِ الْمَرْءِ إِنْ كَانَ مُكْثِرًا

وقال آخر:

النُّطُقُ زَيْنٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامٌ فَإِذَا نَطَقَتْ فَلَا تَكُنْ مِكْثَارًا
مَا إِنْ نَدِمْتُ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا
وَمِمَّا يَرِيدُ فِي الرِّزْقِ أَنْ يَقُولَ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ اِنْشِقَاقِ الْفَحْرِ إِلَى وَقْتِ الصَّلَاةِ:
سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانِ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، مِائَةً مَرَّةً،
وَأَنْ يَقُولَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ" كُلَّ يَوْمٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً مَائَةً مَرَّةً،
وَأَنْ يَقُولَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَحْرِ كُلَّ يَوْمٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

يعنيه: يهمه. ما إن ندمت: أي ما ندمت، فـ"إن" زائدة.

ثلاثاً وثلاثين مرّةً، وبعده صلاة المغرب أيضاً، ويستغفرُ الله أربعين مرّةً بعد صلاة الفجر، ويُكثّرُ من قولِ: لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، والصلوة على النبي ﷺ، ويقولُ يوم الجمعة سبعين مرّةً: اللَّهُمَّ أَعْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَكْفِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

ويقولُ هذا الثناء كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةً: أَنْتَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُوسُ، أَنْتَ اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، عَالِمُ السَّرِّ وَأَخْفَى، أَنْتَ اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ، أَنْتَ اللَّهُ دِيَانُ يَوْمِ الدِّينِ، لَمْ تَنْزَلْ وَلَا تَرَالُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلْدُ وَلَمْ يُوْلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَلِكُ الْقُدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَمَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

وممَّا يُزيدُ في العُمرِ: البرُّ وتركُ الأذى، وتقديرُ الشَّيْوخِ، وصلةُ الرَّحِيمِ، وأن يقولَ حينَ يُصبحُ ويُمسِّي كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَاتٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءُ الْمِيزَانِ،

ديان: القهار. توقير الشَّيْوخِ: تعظيمهم. صلة الرَّحِيمِ: بر الأهل والأقارب، جاء في "الجامع الصغير" أن النبي ﷺ قال: إن الله كتب في أم الكتاب قبل أن يخلق السموات والأرضين: إني أنا الرحمن الرحيم، خلقت الرحمن وشققت لها أسماء من أسمى، فعن وصلتها وصلته ومن قطعها قطعته.

وَمُنْتَهَى الْعِلْمِ وَمَبْلَغُ الرِّضَا، وَرِزْنَةُ الْعَرْشِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنْهُ
الْمِيزَانِ، وَمُنْتَهَى الْعِلْمِ وَمَبْلَغُ الرِّضَا، وَرِزْنَةُ الْعَرْشِ، وَأَنْ يَحْتَرِزَ عَنْ قَطْعِ الْأَشْجَارِ
الرَّطِبَةِ إِلَّا عِنْدَ الْحَرَقَةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ بِالتَّعْظِيمِ، وَالْقِرَآنُ بَيْنَ الْحَجَّ
وَالْعُمْرَةِ، وَحِفْظُ الصَّحَّةِ.

وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَتَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ الطَّبِّ، وَيَتَرَكَ بِالآثَارِ الْوَارِدَةَ فِي الطَّبِّ التَّيْ
جَمَعَهَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُسْتَعْفِرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِطِبِّ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَجِدُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَامِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ، وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ، عَلَى مَمَّرِ الدُّهُورِ وَتَعَاقِبِ الْأَيَامِ، آمِينَ.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة.....
٧	فصل في ماهية العلم والفقه وفضله
١٢	فصل في النية حال التعلم
١٥	فصل في اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات
٢٠	فصل في تعظيم العلم وأهله
٢٦	فصل في الجد والمواظبة والهمة
٣٥	فصل في بداية السبق وقدره وترتيبه
٤٤	فصل في التوكيل
٤٧	فصل في وقت التحصل
٤٨	فصل في الشفقة والنصيحة
٥١	فصل في الاستفادة
٥٣	فصل في الورع في حالة التعلم
٥٦	فصل فيما يورث الحفظ
٥٨	فصل فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيد في العمر وما ينقص

المطبوع
ملونة مجلدة

مختبب الحسامي	الهداية (٨ مجلدات)
نور الإيضاح	الصحيح لمسلم (٤ مجلدات)
أصول الشاشي	مشكاة المصابيح (٢ مجلدات)
نفحة العرب	نور الأنوار (مجلدين)
شرح العقائد	تيسير مصطلح الحديث
تعريب علم الصيغة	كتن الدقائق (٣ مجلدات)
مختصر القدوسي	البيان في علوم القرآن
شرح تهذيب	مختصر المعاني (مجلدين)
	تفسير العلالين (٣ مجلدات)
	ملونة كرتون مقوي
متن العقيدة الطحاوية	زاد الطالبين
هدایۃ النحو (مع الخلاصۃ والتمارین) المرفات	هدایۃ النحو (المتداول)
الكافیة	الكافیة
شرح تهذیب	شرح مائة عامل
السراجی	دروس البلاغة
لیسان‌گوچی	شرح عقود رسم المفتی
الفوز الکبری	البلاغة الواضحة
ستطیع قریباً بعون الله تعالى	ملونة مجلدة/ كرتون مقوي
عوامل النحو	المقامات للحریری
الموطا للإمام مالک	التفسیر للبيضاوی
قطبی	الموطا للإمام محمد
ديوان الحماسة	مسند للإمام الأعظم
الجامع للترمذی	تلخیص المفتاح
الهداية السعیدیة	المعلمات السبع
شرح الجامی	ديوان المتنبی
	الوضیع والتلویح

Book in English

- Tafsir-e-Uthmani(Vol. 1, 2, 3)
 Lisaan-ul-Quran(Vol. 1, 2, 3)
 Key Lisaan-ul-Quran(Vol. 1, 2, 3)
 Al-Hizbul Azam (Large) (H. Binding)
 Al-Hizbul Azam (Small) (Card Cover)
 Secret of Salah

طبع شده
رکنین مجلد

علوم الاسلام (کمل)	لسان القرآن (اول، دوم، سوم)
ہرشی زیور (۴ حصہ)	خلاصہ نبوی شرح شماکل ترمذی
تفسیر عثمانی (۲ جلد)	الحزب الاعظم (میندن کی ترتیب پر)
	خطبات الاحکام بمحاجات العام
رکنین کارڈ کور	الحزب الاعظم (جیہی) (میندن کی ترتیب پر) تيسیر المنطق
علم الخوا	المجملة (چھنٹا گانا) جدید ایڈیشن
بیان القرآن	علم الصرف (اولین و آخرین)
سیر الصحابیات	عربی معرفۃ المصادر
تسہیل المبتدئ	عربی کا آسان قادره
نوائد کیمیہ	فارسی کا آسان قادره
ہرشی گوہر	عربی کا معلم (اول، دوم)
تاریخ اسلام	خیر الاصول فی حدیث الرسول
زاد السعید	روضۃ الارب
تلمیزم الدین	آداب المعاشرت
جزاء الاعمال	حیاة اُلسُلَمِیین
جوامع الکلم	تلمیزم الاسلام (کمل)
مجلد کارڈ کور	فضائل اعمال
	مختار احادیث
اکرام مسلم	مقباح لسان القرآن (اول، دوم، سوم)
	زیر طبع
لتحیم الحقائد	حسن حسین
فضائل حج	آسان اصول فقہ
مسلم الحجاج	عربی کا معلم (سوم، چارم)

Other Languages

- Riyad Us Saliheen (Spanish)(H. Binding)
 Fazail-e-Aamal (German)

To be published Shortly Insha Allah
 Al-Hizbul Azam (French) (Coloured)